(٥٢) سورة الطور مكية
وآياتها تسع وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والطور ، وكتاب مسطور ، فى رق منشور ، والبيت المعمور ، والسقف المرفوع ، والبحر المسجور ﴾ هذه السورة مناسبة للسورة المتقدمة من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما ، وأول هذه السورة مناسب لآخر ماقبلها ، لأن فى آخرها قوله تعالى (فويل للذين كفروا) وهذه السورة فى أولها (فويل يومئذ للمكذبين) وفى آخر تلك السورة قال (فإن للذين ظلموا ذنوباً) إشارة إلى العذاب وقال هنا (إن عذاب ربك لواقع) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما الطور ، وما الكتاب المسطور ؟ نقول فيه وجوه : (الأول) الطور هو جبل معروف كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه (الثانى) هو الجبل الذى قال الله تعالى (وطور سينين) (الثالث) هو اسم الجنس والمراد القسم بالجبل غير أن الطور الجبل العظيم كالطود ، وأما الكتاب ففيه أيضاً وجوه : (أحدها) كتاب موسى عليه السلام (ثانيها) الكتاب الذى فى السماء (ثالثها) صحائف أعمال الخلق (رابعها) القرآن وكيفما كان فهى فى رقوق ، وسنبين فائدة قوله تعالى (فى رق منشور) وأما البيت المعمور ففيه وجوه : (الأول) هو بيت فى السماء العليا عند العرش ووصفه بالعمارة لكثرة الطائفين به من الملائكة (الثانى) هو بيت الله الحرام وهو معمور بالحاج الطائفين به العاكفين (الثالث) البيت المعمور اللام فيه لتعريف الجنس كأنه يقسم بالبيوت المعمورة والعمائر المشهورة ، والسقف المرفوع السماء ، والبحر المسجور ، قيل الموقد يقال سجرت التنور ، وقيل هو البحر المملوء ماء المتموج ، وقيل هو بحر معروف فى السماء يسمى بحر الحيوان .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ما الحكمة فى اختيار هذه الأشياء ؟ نقول هى تحتمل وجوهاً : (أحدها) إن الأماكن الثلاثة وهى : الطور ، والبيت المعمور ، والبحر المسجور ، أماكن كانت لثلاثة أنبياء ينفردون فيها للخلوة بربهم والخلاص من الخلق والخطاب مع الله ، أما الطور فانتقل إليه موسى

عليه السلام ، والبيت محمد ﷺ ، والبحر المسجور يونس عليه السلام ، والكل خاطبوا الله هناك فقال موسى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) وقال (أرنى أنظر إليك) وأما محمد ﷺ فقال «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، لا أحصى ثناء عليك كما أثنيت على نفسك» وأما يونس فقال (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) فصارت الأماكن شريفة بهذه الأسباب ، فحلف الله تعالى بها ، وأما ذكر الكتاب فإن الأنبياء كان لهم فى هذه الأماكن مع الله تعالى كلام والكلام فى الكتاب واقترانه بالطور أدل على ذلك ، لأن موسى عليه السلام كان له مكتوب ينزل عليه وهو بالطور ، وأما ذكر السقف المرفوع ومعه البيت المعمور ليعلم عظمة شأن محمد ﷺ (ثانيها) وهو أن القسم لما كان على وقوع العذاب وعلى أنه لا دافع له ، وذلك لأن لا مهرب من عذاب الله لأن من يريد دفع العذاب عن نفسه ، ففى بعض الأوقات يتحصن بمثل الجبال الشاهقة التى ليس لها طرف وهى متضايقة بين أنه لا ينفع التحصن بها من أمر الله تعالى كما قال ابن نوح عليه السلام (سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) حكاية عن نوح عليه السلام .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ما الحكمة فى تنكير الكتاب وتعريف باقى الأشياء ؟ نقول ما يحتمل الخفاء من الأمور الملتبسة بأمثالها من الأجناس يعرف باللام ، فيقال رأيت الأمير ودخلت على الوزير ، فاذا بلغ الأمير الشهرة بحيث يؤمن الالتباس مع شهرته ، ويريد الواصف وصفه بالعظمة ، يقول : اليوم رأيت أميراً ماله نظير جالساً وعليه سيما الملوك وأنت تريد ذلك الأمير المعلوم ، والسبب فيه أنك بالتنكير تشير إلى أنه خرج عن أن يعلم ويعرف بكنه عظمته ، فيكون كقوله تعالى (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة) فاللام وإن كانت معرفة لكن أخرجها عن المعرفة كون شدة هولها غير معروف ، فكذلك ههنا الطور ليس فى الشهرة بحيث يؤمن اللبس عند التنكير ، وكذلك البيت المعمور ، وأما الكتاب الكريم فقد تميز عن سائر الكتب ، بحيث لا يسبق إلى أفهام السامعين من النبى صلى الله عليه وسلم لفظ الكتاب إلا ذلك ، فلما أمن اللبس وحصلت فائدة التعريف سواء ذكر باللام أو لم يذكر قصداً للفائدة الأخرى وهى فى الذكر بالتنكير ، وفى تلك الأشياء لما لم تحصل فائدة التعريف إلا بآلة التعريف استعملها ، وهذا يؤيد كون المراد منه القرآن وكذلك اللوح المحفوظ مشهور .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ما الفائدة فى قوله تعالى (فى رق منشور) وعظمة الكتاب بلفظه ومعناه لا بخطه ورقه ؟ نقول هو إشارة إلى الوضوح ، وذلك لأن الكتاب المطوى لا يعلم ما فيه فقال هو (فى رق منشور) وليس كالكتب المطوية وعلى هذا المراد اللوح المحفوظ فمعناه هو منشور لكم لا يمنعكم أحد من مطالعته ، وإن قلنا بأن المراد كتاب أعمال كل أحد فالتنكير لعدم المعرفة بعينه وفى رق منشور لبيان وصفه كما قال تعالى (كتاباً يلقاه منشوراً) وذلك لأن غير المعروف إذا

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾

وصف كان إلى المعرفة أقرب شبهاً .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ فى بعض السور أقسم بجموع كما فى قوله تعالى (والذاريات) وقوله (والمرسلات) وقوله (والنازعات) وفى بعضها بأفراد كما فى هذه السورة حيث قال (والطور) ولم يقل والأطوار والبحار ، ولا سيما إذا قلنا المراد من الطور الجبل العظيم كالطود ، كما فى قوله تعالى (ورفعنا فوقهم الطور) أى الجبل فما الحكمة فيه ؟ نقول فى الجموع فى أكثرها أقسم بالمتحركات والريح الواحدة ليست بثابتة مستمرة حتى يقع القسم بها ، بل هى متبدلة بأفرادها مستمرة بأنواعها والمقصود منها لا يحصل إلا بالتبدل والتغير فقال (والذاريات) إشارة إلى النوع المستمر إلى الفرد المعين المستقر ، وأما الجبل فهو ثابت قليل التغير والواحد من الجبال دائم زماناً ودهراً ، فأقسم فى ذلك بالواحد وكذلك قوله (والنجم) والريح ماعلم القسم به وفى الطور علم .

ثم قال تعالى ﴿ إن عذاب ربك لواقع ، ماله من دافع ﴾ إشارة إلى المقسم عليه وفيه مباحث (الأول) فى حرف إن وفيه مقامات (الأول) هى تنصب الاسم وترفع الخبر والسبب فيه هو أنها شبهت بالفعل من حيث اللفظ والمعنى ، أما اللفظ فلكون الفتح لازما فيها واختصاصها بالدخول على الأسماء والمنصوب منها على وزن إن أنينا ، وأما المعنى ، فنقول اعلم أن الجملة الإثباتية قبل الجملة الانتفائية ، ولهذا استغنوا عن حرف يدل على الإثبات ، فاذا قالوا زيد منطلق فهم منه إرادة إثبات الانطلاق لزيد ، والانتفائيه لما كانت بعد المثبتة زيد فيها حرف يغيرها عن الأصل وهو الإثبات فقيل ليس زيد منطلقاً ، فصار ليس زيد منطلقا بعد قول القائل زيد منطلق ، ثم إن قول القائل إن زيداً منطلق مستنبط من قوله ليس زيد منطلقا ، كأن الواضع لما وضع أولا زيد منطلق للاثبات وعند النفى يحتاج إلى ما يغيره أتى بلفظ مغير وهو فعل من وجه لأنك قد تبقى مكانه ما النافية ولهذا قيل لست وليسوا ، فألحق به ضمير الفاعل ، ولولا أنه فعل لما جاز ذلك ، ثم أراد أن يضع فى مقابلة ليس زيد منطلقاً جملة إثباتية فيها لفظ الإثبات ، كما أن فى النافية لفظ النفى فقال إن ولم يقصد أن إن فعل لأن ليس يشبه بالفعل لما فيه من معنى الفعل وهو التغيير ، فانها غيرت الجملة من أصلها الذى هو الإثبات وأما إن فلم تغيره فالجملة على ماكانت عليه إثباتية فصارت مشبهة بالمشبهة بالفعل وهى ليس ، وهذا مايقوله النحويون فى إن وأن وكأن وليت ولعل إنها حروف مشبهة بالأفعال إذا علمت هذا ، فنقول كما إن ليس لها اسم كالفاعل وخبر كالمفعول ، تقول ليس زيد لئيما بالرفع والنصب كما تقول بات زيد كريما ، فكذلك إن لها اسم وخبر ، لكن اسمها يخالف اسم ليس وخبرها خبرها فان اسم إن منصوب وخبرها مرفوع ، لأن إن لما كانت زيادة على خلاف الأصل لأنها لا تفيد إلا الإثبات الذى كان مستفاداً من غير حرف ، وليس لما كانت زيادة على الأصل لأنها تغير الأصل

يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾

ولولاها لما حصل المقصود جعل المرفوع والمنصوب فى ليس على الأصل ، لأن الأصل تقديم الفاعل ، وفى إن جعل ذلك على خلاف الأصل وقدم المشبه بالمفعول على المشبه بالفاعل تقديماً لازماً فلا يجوز أن يقال إن منطلق زيداً وهو فى ليس منطلقاً زيد جائز كما فى الفعل لأنها فعل .

﴿ المقام الثانى ﴾ هى لم تكسر تارة وتفتح أخرى ؟ نقول الأصل فيها الكسرة والعارض وإن كان هذا فى الظاهر يخالف قول النحاة لكن فى الحقيقة هى كذلك .

﴿ المقام الثالث ﴾ لم تدخل اللام على خبر إن المكسورة دون المفتوحة ؟ قلنا قد خرج مما سبق أن قول القائل زيد منطلق أصل ، لأن المثبتات هى المحتاجة إلى الإخبار عنها فإن التغير فى ذلك ، وأما العدميات فعلى أصولها مستمرة ، ولهذا يقال الأصل فى الأشياء البقاء ثم إن السامع له قد يحتاج إلى الرد عليه فيقول ليس زيد منطلقاً فيقول هو إن زيداً منطلق فيقول هو رداً عليه ليس زيد بمنطلق فيقول رداً عليه إن زيداً لمنطلق وأن ليست فى مقابلة ليس وإنما هى متفرعة عن المكسورة .

﴿ المبحث الثانى ﴾ قوله تعالى (عذاب ربك) فيه لطيفة عزيزة وهى أنه تعالى لو قال إن عذاب الله لواقع ، والله اسم منبىء عن العظمة والهيبة كان يخاف المؤمن بل النبى صلى الله عليه وسلم من أن يلحقه ذلك لكونه تعالى مستغنياً عن العالم بأسره ، فضلا عن واحد فيه فآمنه بقوله (ربك) فانه حين يسمع لفظ الرب يأمن .

﴿ المبحث الثالث ﴾ قوله (لواقع) فيه إشارة إلى الشدة ، فإن الواقع والوقوع من باب واحد فالواقع أدل على الشدة من الكائن . ثم قال تعالى (ماله من دافع) والبحث فيه قد تقدم فى قوله تعالى (وما ربك بظلام للعبيد) وقد ذكرنا أن قوله (والطور . . والبيت المعمور . . والبحر المسجور) فيه دلالة على عدم الدافع فان من يدفع عن نفسه عذاباً قد يدفع بالتحصن بقلل الجبال ولجج البحار ولا ينفع ذلك بل الوصول إلى السقف المرفوع ودخول البيت المعمور لا يدفع .

قوله تعالى : ﴿ يوم تمور السماء موراً ، وتسير الجبال سيراً ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما الناصب ليوم ؟ نقول المشهور أن ذلك هو الفعل الذى يدل عليه واقع أى يقع العذاب (يوم تمور السماء موراً) والذى أظنه أنه هو الفعل المدلول عليه بقوله (ماله من دافع) وإنما قلت ذلك لأن العذاب الواقع على هذا ينبغى أن يقع فى ذلك اليوم ، لكن العذاب الذى به التخويف هو الذى بعد الحشر ، ومور السماء قبل الحشر ، وأما إذا قلنا معناه (ليس له دافع) يوم تمور فيكون فى معنى قوله (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) كأنه تعالى يقول : ماله من دافع فى ذلك اليوم وهو ما إذا صارت السماء تمور فى أعينكم والجبال تسير ، وتتحققون أن الأمر لا ينفع شيئاً ولا يدفع .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ما مور السماء ؟ نقول خروجها عن مكانها تتردد وتموج ، والذى تقوله الفلاسفة قد علمت ضعفه مراراً وقوله تعالى (وتسير الجبال سيراً) يدل على خلاف قولهم ، وذلك لأنهم وافقوا على أن خروج الجبل العظيم من مكانه جائز وكيف لا وهم يقولون بأن زلزلة الأرض مع ما فيها من الجبال ببخار يجتمع تحت الأرض فيحركها ، وإذا كان كذلك فنقول السماء قابلة للحركة بإخراجها خارجة عن السمتيات والجبل ساكن يقتضى طبعه السكون ، وإذا قبل جسم الحركة مع أنها على خلاف طبعه ، فلأن يقبلها جرم آخر مع أنها على موافقته أولى ، وقولهم القابل للحركة المستديرة لا يقبل الحركة المستقيمة فى غاية الضعف ، وقوله (موراً) يفيد فائدة جليلة وهى أن قوله تعالى (وتسير الجبال) يحتمل أن يكون بياناً لكيفية مور السماء ، وذلك لأن الجبال إذا سارت وسيرت معها سكانها يظهر أن السماء كالسيارة إلى خلاف تلك الجهة كما يشاهده راكب السفينة فإنه يرى الجبل الساكن متحركا ، فكان لقائل أن يقول السماء تمور فى رأى العين بسبب سير الجبال كما يرى القمر سائراً راكب السفينة ، والسماء إذا مارت كذلك فلا يبقى مهرب ولا مفزع لا فى السماء ولا فى الأرض .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ما السبب فى مورها وسيرها ؟ قلنا قدرة الله تعالى ، وأما الحكمة فالإيذان والإعلام بأن لا عود إلى الدنيا ، وذلك لأن الأرض والجبال والسماء والنجوم كلها لعمارة الدنيا والانتفاع لبنى آدم بها ، فان لم يتفق لهم عود لم يبق فيها نفع فأعدمها الله تعالى .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ لو قال قائل كنت وعدت ببحث فى الزمان يستفيد العاقل منه فوائد فى اللفظ والمعنى وهذا موضعه ، فإن الفعل لا يضاف إليه شىء غير الزمان فيقال يوم يخرج فلان وحين يدخل فلان ، وقال الله تعالى (يوم ينفع الصادقين) وقال (ويوم تمور السماء) وقال (يوم خلق السموات والأرض) وكذلك يضاف إلى الجملة فما السبب فى ذلك ؟

فنقول الزمان ظرف الأفعال كما أن المكان ظرف الأعيان ، وكما أن جوهراً من الجواهر لا يوجد إلا فى مكان ، فكذلك عرض من الأعراض لا يتجدد إلا فى زمان ، وفيهما تحير خلق عظيم ، فقالوا إن كان المكان جوهراً فله مكان آخر ويتسلسل الأمر ، وإن كان عرضاً فالعرض لا بد له من جوهر ، والجوهر لا بد له من مكان فيدور الأمر أو يتسلسل ، وإن لم يكن جوهراً ولا عرضاً ، فالجوهر يكون حاصلا فيما لا وجود له أو فيما لا إشارة إليه ، وليس كذلك ، وقالوا فى الزمان إن كان الزمان غير متجدد فيكون كالأمور المستمرة فلا يثبت فيه المضى والاستقبال ، وإن كان متجدداً وكل متجدد فهو فى زمان ، فللزمان زمان آخر فيتسلسل الأمر ، ثم إن الفلاسفة التزموا التسلسل فى الأزمنة ، ووقعوا بسبب هذا فى القول بقدم العالم ولم يلتزموا التسلسل فى الأمكنة وفرقوا بينهما من غير فارق وقوم التزموا التسلسل فيهما جميعاً ، وقالوا بالقدم وأزمان لا نهاية لها وبالامتداد وأبعاد لا نهاية لها ، وهم وإن خالفونا فى المسألتين جميعاً والفلاسفة وافقونا فى إحداهما دون

الأخرى لكنهم سلكوا جادة الوهم ولم يتركوا على أنفسهم سبيل الإلتزام فى الأزمان . وإن قيل فالمتجدد الأول قبله ماذا ؟ نقول ليس قبله شىء ، فإن قيل فعدمه قبله أو قبله عدمه ؟ نقول قولنا ليس قبله شىء أعم من قولك قبله عدمه ، لأنا إذا قلنا ليس قبل آدم حيوان بألف رأس ، صدقنا ولا يستلزم ذلك صدق قولنا آدم قبل حيوان بألف رأس أو حيوان بألف رأس بعد آدم ، لانتفاء ذلك الحيوان أولا وآخراً وعدم دخوله فى الوجود أزلا وأبداً ، فكذلك ما قلنا ، فإن قيل هذا لا يصح ، لأن الله تعالى شىء موجود وهو قبل العالم ، نقول قولنا ليس قبل المتجدد الأول شىء معناه ليس قبله شى بالزمان ، وأما الله تعالى فليس قبله بالزمان إذ كان الله ولا زمان ، والزمان وجد مع المتجدد الأول ، فان قيل فما معنى وجود الله قبل كل شىء غيره ؟ نقول معناه كان الله ولم يكن شىء غيره لا يقال ما ذكرتم إثبات شىء بشىء ولا يثبت ذلك الشىء إلا بما ترومون إثباته ، فإن بداية الزمان غرضكم وهو مبنى على المتجدد الأول والنزاع فى المتجدد ، فإن عند الخصم ليس فى الوجود متجدد أول بل قبل كل متجدد ، لأنا نقول نحن ما ذكرنا ذلك دليلا ، وإنما ذكرناه بياناً لعدم الإلزام ، وأنه لا يرد علينا شىء إذا قلنا بالحدوث ونهاية الأبعاد واللزم والإلزام ، فيسلم الكلام الأول ، ثم يلزم ويقول : ألست تقول إن لنا متجدداً أولا فكذلك قل له عدم ، فنقول لا بل ليس قبله أمر بالزمان ، فيكون ذلك نفياً عاماً ، وإنما يكون ذلك لانتفاء الزمان ، كما ذكرنا فى المثال ، إذا علمت هذا فصار الزمان تارة موجوداً مع عرض وأخرى موجوداً بعد عرض ، لأن يومنا هذا وغيره من الأيام كلها صارت متميزة بالمتجدد الأول ، والمتجدد الأول له زمان هو معه ، إذا عرفت أن الزمان والمكان أمرهما مشكل بالنسبة إلى بعض الأفهام والأمر الخفى يعرف بالوصف والإضافة ، فإنك إذا قلت غلام لم يعرف ، فإذا وصفته أو أضفته وقلت غلام صغير أو كبير ، وأبيض أو أسود قرب من الفهم ، وكذلك إذا قلت غلام زيد قرب ، ولم يكن بد من معرفة الزمان ، ولا يعرف الشىء إلا بما يختص به ، فإنك إذا قلت فى الإنسان حيوان موجود بعدته عن الفهم ، وإذا قلت حيوان طويل القامة قربته منه ، ففى الزمان كان يجب أن يعرف بما يختص به لأن الفعل الماضى والمستقبل والحال يختص بأزمنة ، والمصدر له زمان مطلق ، فلو قلت زمان الخروج تميز عن زمان الدخول وغيره ، فإذا قلت يوم خرج أفاد ما أفاد قولك يوم الخروج مع زيادة هو أنه تميز عن يوم يخرج والإضافة إلى ما هو أشد تمييزاً أولى ، كما أنك إذا قلت غلام رجل ميزته عن غلام امرأة ، وإذا قلت غلام زيد زدت عليه فى الإفادة وكان أحسن ، كذلك قولنا يوم خرج لتعريف ذلك اليوم خير من قولك يوم الخروج ، فظهر من هذا البحث أن الزمان يضاف إلى الفعل وغيره لا يضاف لاختصاص الفعل بالزمان دون غيره إلا المكان فى قوله اجلس حيث يجلس ، فإن حيث يضاف إلى الجمل لمشابهة ظرف المكان لظرف الزمان ، وأما الجمل فهى إنما يصح بواسطة تضمنها الفعل ، فلا يقال يوم زيد أخوك ، ويقال يوم زيد فيه خارج .

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾

ومن جملة الفرائد اللفظية أن لات يختص استعمالها بالزمان قال الله تعالى (ولات حين مناص) ولا يقال لات الرجل سوء ، وذلك لأن الزمان تجدد بعد تجدد ولا يبقى بعد الفناء حياة أخرى وبعد كل حركة حركة أخرى وبعد كل زمان زمان وإليه الإشارة بقوله تعالى (كل يوم هو فى شأن) أى قبل الخلق لم يخلق شيئاً ، لكنه بعد ماخلق فهو أبداً دائماً يخلق شيئاً بعد شيء فبعد حياتنا موت وبعد موتنا حياة وبعد حياتنا حساب وبعد الحساب ثواب دائم أو عقاب لازم ولا يترك الله الفعل فلما بعد الزمان عن النفى زيد فى الحروف النافية زيادة ، فان قيل فالله تعالى أبعد عن الانتفاء فكان ينبغى أن لا تقرب التاء بكلمة لاهناك ، نقول (لات حين مناص) تأويل وعليه لا يرد ماذكرتم وهو أن لا هى المشبهة بليس تقديره ليس الحين حين مناص ، وهو المشهور ، ولذلك اختص بالحين دون اليوم والليل لأن الحين أدوم من الليل والنهار فالليل والنهار قد لا يكون والحين يكون .

قوله تعالى : ﴿ فويل يومئذ للمكذبين ، الذين هم فى خوض يلعبون ﴾ أى إذا علم أن عذاب الله واقع وأنه ليس له دافع فويل إذاً للمكذبين ، فالفاء لاتصال المعنى ، وهو الإيذان بأمان أهل الإيمان ، وذلك لأنه لما قال (إن عذاب ربك لواقع) لم يبين بأن موقعه بمن ، فلما قال (فويل يومئذ للمكذبين) علم المخصوص به وهو المكذب ، وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ إذا قلت بأن قوله (ويل يومئذ للمكذبين) بيان لمن يقع به العذاب وينزل عليه فمن لا يكذب لا يعذب ، فأهل الكبائر لا يعذبون لأنهم لا يكذبون ، نقول ذلك العذاب لا يقع على أهل الكبائر وهذا كما فى قوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا) فنقول المؤمن لا يلقى فيها إلقاء بهوان ، وإنما يدخل فيها ليطهر إدخال مع نوع إكرام ، فكذلك الويل للمكذبين ، والويل ينبىء عن الشدة وتركيب حروف الواو والياء واللام لا ينفك عن نوع شدة ، منه لوى إذا دفع ولوى يلوى إذا كان قوياً والولى فيه القوة على المولى عليه ، ويدل عليه قوله تعالى (يدعون) فان المكذب يدع والمصدق لا يدع ، وقد ذكرنا جواز التنكير فى قوله (ويل) مع كونه مبتدأ لأنه فى تقدير المنصوب لأنه دعاء ومضى ، وجهه فى قوله تعالى (قال سلام) والخوض نفسه خص فى استعمال القرآن بالاندفاع فى الأباطيل ، ولهذا قال تعالى (وخضتم كالذى خاضوا) وقال تعالى (وكنا نخوض مع الخائضين) وتنكير الخوض يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون للتكثير أى فى خوض كامل عظيم (ثانيهما) أن يكون التنوين تعويضاً عن المضاف إليه ، كما فى قوله تعالى (إلا) وقوله (وإن كلا) و (بعضهم ببعض) والأصل فى خوضهم المعروف منهم وقوله (الذين هم فى خوض) ليس وصفاً للمكذبين بما يميزهم ، وإنما هو الذم كما أنك تقول الشيطان الرجيم

يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

ولا تريد فصله عن الشيطان الذى ليس برجيم بخلاف قولك أكرم الرجل العالم ، فالوصف بالرجيم للذم به لا للتعريف وتقول فى المدح : الله الذى خلق ، والله العظيم للمدح لا للتمييز ولا للتعريف عن إله لم يخلق أو إله ليس بعظيم ، فإن الله واحد لا غير .

ثم قال تعالى ﴿ يوم يدعون إلى نار جهنم دعاً ﴾ وفيه مباحث لفظية ومعنوية . أما اللفظية ففيها مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ يوم منصوب بماذا ؟ نقول الظاهر أنه منصوب بما بعده وهو ما يدل عليه قوله تعالى (هذه النار) تقديره يوم يدعون يقال لهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون . ويحتمل غير هذا وهو أن يكون يوم بدلا عن يوم فى يومئذ تقريره فويل يومئذ للمكذبين ويوم يدعون أى المكذبون وذلك أن قوله (يومئذ) معناه يوم يقع العذاب وذلك اليوم هو (يوم يدعون) فيه إلى النار .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (يدعون إلى النار) يدل على هول نار جهنم ، لأن خزنتها لا يقربون منها وإنما يدفعون أهلها إليها من بعيد ويلقونهم فيها وهم لا يقربونها .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ (دعاً) مصدر ، وقد ذكرت فائدة ذكر المصادر وهى الإيذان بأن الدع دع معتبر يقال له دع ولا يقال فيه ليس بدع ، كما يقول القائل فى الضرب الخفيف مستحقراً له : هذا ليس بضرب والعدو المهين : هذا ليس بعدو فى غير المصادر ، والرجل الحقير ليس برجل إلا على قراءة من قرأ (يدعون إلى نار جهنم دعاء) فإن دعاء حينئذ يكون منصوباً على الحال تقديره يقال لهم هلموا إلى النار مدعوين إليها .

أما المعنوية فنقول قوله تعالى (يوم يدعون إلى نار جهنم) يدل على أن خزنتها يقذفونهم فيها وهم بعداء عنها ، وقال تعالى (يوم يسحبون فى النار) نقول الجواب عنه من وجوه (أحدها) أن الملائكة يسحبونهم فى النار ثم إذا قربوا من نار مخصوصة هى نار جهنم يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب فى النار والدفع فى نار أشد وأقوى ، ويدل عليه قوله تعالى (يسحبون فى الحميم ثم النار يسجرون) أى يكون لهم سحب فى حموة النار . ثم بعد ذلك يكون لهم إدخال (الثانى) جاز أن يكون فى كل زمان يتولى أمرهم ملائكة ، فإلى النار يدفعهم ملك وفى النار يسحبهم آخر .

(الثالث) جاز أن يكون السحب بسلاسل يسحبون فى النار والساحب خارج النار .

(الرابع) يحتمل أن يكون الملائكة يدفعون أهل النار إلى النار إهانة واستخفافاً بهم ، ثم يدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها .

قوله تعالى : ﴿ هذه النار التى كنتم بها تكذبون ﴾ على تقدير يقال .

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ﴿أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون﴾ تحقيقاً للأمر ، وذلك لأن من يرى شيئاً ولا يكون الأمر على مايراه ، فذلك الخطأ يكون لأجل أحد أمرين إما لأمر عائد إلى المرئى وأما لأمر عائد إلى الرائى فقوله (أفسحر هـذا) أى هل فى المرئى شك أم هل فى بصركم خلل ؟ استفهام إنكار ، أى لا واحد منهما ثابت ، فالذى ترونه حق وقد كنتم تقولون إنه ليس بحق ، وإنما قال (أفسحر) وذلك أنهم كانوا ينسبون المرئيات إلى السحر فكانوا يقولون بأن انشقاق القمر وأمثاله سحر وفى ذلك اليوم لما تعلق بهم مع البصر الألم المدرك بحس اللمس وبلغ الإيلام الغاية لم يمكنهم أن يقولوا هذا سحر ، وإلا لما صح منهم طلب الخلاص من النار .

قوله تعالى : ﴿اصلوها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ أى إذا لم يمكنكم إنكارها وتحقق أنه ليس بسحر ولا خلل فى أبصاركم فاصلوها . وقوله تعالى (فاصبروا أو لا تصبروا) فيه فائدتان (إحداهما) بيان عدم الخلاص وانتفاء المناص فإن من لا يصبر يدفع الشيء عن نفسه إما بأن يدفع المعذب فيمنعه وإما بأن يغضبه فيقتله ويريحه ولا شيء من ذلك يفيد فى عذاب الآخرة فان من لا يغلب المعذب فيدفعه ولا يتلخص بالإعدام فانه لا يقضى عليه فيموت ، فإذن الصبر كعدمه ، لأن من يصبر يدوم فيه ، ومن لا يصبر يدوم فيه (الثانية) بيان ما يتفاوت به عذاب الآخرة عن عذاب الدنيا ، فإن المعذب فى الدنيا إن صبر ربما انتفع بالصبر إما بالجزاء فى الآخرة ، وإما بالحمد فى الدنيا ، فيقال له ما أشجعه وما أقوى قلبه ، وإن جزع يذم ، فيقال يجزع كالصبيان والنسوان ، وأما فى الآخرة لا مدح ولا ثواب على الصبر ، وقوله تعالى (سواء عليكم) (سواء) خبر ، ومبتدأه مدلول عليه بقوله (فاصبروا أولا تصبروا) كأنه يقول : الصبر وعدمه سواء ، فإن قيل يلزم الزيادة فى التعذيب ، ويلزم التعذيب على المنوى الذى لم يفعله ، نقول فيه لطيفة ، وهى أن المؤمن بإيمانه استفاد أن الخير الذى ينويه يثاب عليه ، والشر الذى ينويه ولا يحققه لا يعاقب عليه ، والكافر بكفره صار على الضد ، فالخير الذى ينويه ولا يعمله لا يثاب عليه ، والشر الذى يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه ولا ظلم ، فإن الله تعالى أخبره به ، وهو اختار ذلك ودخل فيه باختياره ، كأن الله تعالى قال : فإن من كفر ومات كافراً أعذبه أبداً فاحذروا ، ومن آمن أثيبه دائماً ، فمن ارتكب الكفر ودام عليه بعد ماسمع ذلك ، فإذا عاقبه المعاقب دائماً تحقيقاً لما أوعده به لا يكون ظالماً .

قوله تعالى : ﴿ إن المتقين فى جنات ونعيم ﴾ على ماهو عادة القرآن من بيان حال المؤمن

فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

بعد بيان حال الكافر ، وذكر الثواب عقيب ذكر العقاب ليتم أمر الترهيب والترغيب ، وقد ذكرنا تفسير (المتقين) فى مواضع ، والجنة وإن كانت موضع السرور ، لكن الناطور قد يكون فى البستان الذى هو غاية الطيبة وهو غير متنعم ، فقوله (ونعيم) يفيد أنهم فيها يتنعمون ، كما يكون المتفرج لا كما يكون الناطور .

وقوله ﴿ فاكهين ﴾ يزيد فى ذلك لأن المتنعم قد يكون آثار التنعم على ظاهره وقلبه مشغول ، فلما قال (فاكهين) يدل على غاية الطيبة ، وقوله (بما آتاهم ربهم) يفيد زيادة فى ذلك ، لأن الفكه قد يكون خسيس النفس فيسره أدنى شىء ، ويفرح بأقل سبب ، فقال (فاكهين) لا لدنو هممهم بل لعلو نعمهم حيث هى من عند ربهم .

قوله تعالى :﴿ ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ﴾ يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون المراد أنهم (فاكهون) بأمرين أحدهما بما آتاهم ، والثانى بأنه وقاهم (وثانيهما) أن يكون ذلك جملة أخرى منسوقة على الجملة الأولى ، كأنه بين أنه أدخلهم جنات ونعيما (ووقاهم عذاب الجحيم) .

قوله تعالى :﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ، متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ﴾ وفيه بيان أسباب التنعيم على الترتيب ، فأول مايكون المسكن وهو الجنات ثم الأكل والشرب ، ثم الفرش والبسط ثم الأزواج ، فهذه أمور أربعة ذكرها الله على الترتيب ، وذكر فى كل واحد منها مايدل على كماله قوله (جنات) إشارة إلى المسكن والمسكن للجسم ضرورى وهو المكان ، فقال (فاكهين) لأن مكان التنعيم قد يتنغص بأمور وبين سبب الفكاهة وعلو المرتبة يكون بما آتاهم الله ، وقد ذكرنا هذا ، وأما فى الأكل والشرب والأذن المطلق فترك ذكر المأكول والمشروب لتنوعهما وكثرتهما ، وقوله تعالى (هنيئاً) إشارة إلى خلوهما عما يكون فيهما من المفاسد فى الدنيا ، منها أن الآكل يخاف من المرض فلا يهنأ له الطعام ، ومنها أنه يخاف النفاد فلا يسخو بالأكل والكل منتف فى الجنة فلا مرض ولا انقطاع ، فإن كل أحد عنده ما يفضل عنه ، ولا إثم ولا تعب فى تحصيله ، فان الإنسان فى الدنيا ربما يترك لذة الأكل لما فيه من تهيئة المأكول بالطبخ والتحصيل من التعب أو المنة أو مافيه من قضاء الحاجة واستقذار مافيه ، فلا يتهنأ . وكل ذلك فى الجنة منتف . وقوله تعالى (بما كنتم تعملون) إشارة إلى أنه تعالى يقول

أى مع أنى ربكم وخالقكم وأدخلتكم بفضلى الجنة ، وإنما منتى عليكم فى الدنيا إذ هديتكم ووفقتكم للأعمال الصالحة كما قال تعالى (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) . وأما اليوم فلا من عليكم لأن هذ إنجاز الوعد فإن قيل قال فى حق الكفار (إنما تجزون ما كنتم تعملون) وقال فى حق المؤمنين (بما كنتم تعملون) فهل بينهما فرق ؟ قلت بينهما بون عظيم من وجوه (الأول) كلمة إنما للحصر أى لاتجزون إلا ذلك ، ولم يذكر هذا فى حق المؤمن فإنه يجزيه أضعاف ماعمل ويزيده من فضله ، وحينئذ إن كان يمن الله على عبده فيمن بذلك لا بالأكل والشرب (الثانى) قال هنا (بما كنتم) وقال هناك (ما كنتم) أى تجزون عين أعمالكم إشارة إلى المبالغة فى المماثلة كما تقول هذا عين ماعملت وقد تقدم بيان هذا وقال فى حق المؤمن (بما كنتم) كأن ذلك أمر ثابت مستمر بعملكم هذا (الثالث) ذكر الجزاء هناك وقال ههنا (بما كنتم تعملون) لأن الجزاء ينبىء عن الانقطاع فإن من أحسن إلى أحد فأتى بجزائه لا يتوقع المحسن منه شيئاً آخر . فان قيل فالله تعالى قال فى مواضع (جزاء بما كنتم تعملون) فى الثواب ، نقول فى تلك المواضع لمالم يخاطب المجزى لم يقل تجزى وإنما أتى بما يفيد العالم بالدوام وعدم الانقطاع . وأما فى السرر فذكر أموراً أيضاً (أحدها) الاتكاء فانه هيئة تختص بالمنعم ، والفارغ الذى لاكلفة عليه ولا تكلف لديه فان من يكون عنده من يتكلف له يجلس له ولا يتكىء عنده ، ومن يكون فى مهم لا يتفرغ للاتكاء فالهيئة دليل خير . ثم الجمع يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون لكل واحد سرر وهو الظاهر لأن قوله (مصفوفة) يدل على أنها لواحد لأن سرر الكل لا تكون فى موضع واحد مصطفة ولفظ السرير فيه حروف السرور بخلاف التخت وغيره ، وقوله (مصفوفة) دليل على أنه لمجرد العظم فانها لو كانت متفرقة لقيل فى كل موضع واحد ليتكىء عليه صاحبه إذا حضر فى هذا الموضع ، وقوله تعالى (وزوجناهم) إشارة إلى النعمة الرابعة وفيها أيضاً ما يدل على كمال الحال من وجوه (أحدها) أنه تعالى هو المزوج وهو يتولى الطرفين يزوج عباده بأمانه ومن يكون كذلك لايفعل إلا مافيه راحة العباد والإماء . (ثانيها) قال (وزوجناهم بحور) ولم يقل وزوجناهم حوراً مع أن لفظة التزويج يتعدى فعله إلى مفعولين بغير حرف يقال زوجتكها قال تعالى (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها) وذلك إشارة إلى أن المنفعة فى التزويج لهم وإنما زوجوا للذتهم بالحور لا للذة الحور بهم وذلك لأن المفعول بغير حرف يعلق الفعل به كذلك التزويج تعلق بهم ثم بالحور ، لأن ذلك بمعنى جعلنا ازدواجهم بهذا الطريق وهو الحور (ثالثها) عدم الاقتصار على الزوجات بل وصفهن بالحسن واختار الأحسن من الأحسن ، فإن أحسن مافى صورة الآدمى وجهه وأحسن مافى الوجه العين ، ولأن الحور والعين يدلان على حسن المزاج فى الأعضاء ووفرة المادة فى الأرواح ، أما حسن المزاج فعلامته الحور ، وأما وفرة الروح فان سعة العين بسبب كثرة الروح المصوبة إليها ، فإن قيل قوله (زوجناهم) ذكره بفعل ماض و (متكئين) حال ولم يسبق ذكر فعل ماض

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

يعطف عليه ذلك وعطف الماضى على الماضى والمستقبل على المستقبل أحسن ، نقول الجواب من وجوه اثنان لفظيان ومعنوى (أحدها) أن ذلك حسن فى كثير من المواضع ، تقول جاء زيد ويجيء عمرو وخرج زيد (ثانيها) أن قوله تعالى (إن المتقين فى جنات ونعيم) تقديره أدخلناهم فى جنات ، وذلك لأن الكلام على تقدير أن فى اليوم الذى يدع الكافر فى النار فى ذلك الوقت يكون المؤمن قد أدخل مكانه ، فكأنه تعالى يقول فى (يوم يدعون إلى نار جهنم) إن المتقين كائنون فى جنات (والثالث) المعنوى وهو أنه تعالى ذكر بجزاة الحكم ، فهو فى هذا اليوم زوج عباده حوراً عيناً ، وهن منتظرات الزفاف يوم الآزفة .

ثم قال تعالى ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم[1] بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ وفيه لطائف (الأولى) أن شفقة الأبوة كما هى فى الدنيا متوفرة كذلك فى الآخرة ، ولهذا طيب الله تعالى قلوب عباده بأنه لا يولههم بأولادهم بل يجمع بينهم ، فإن قيل قد ذكرت فى تفسير بعض الآيات أن الله تعالى يسلى الآباء عن الأبنا وبالعكس ، ولا يتذكر الأب الذى هو من أهل الجنة الابن الذى هو من أهل النار ، نقول الولد الصغير وجد فى والده الأبوة الحسنة ولم يوجد لها معارض ولهذا ألحق الله الولد بالوالد فى الإسلام فى دار الدنيا عند الصغر وإذا كبر استقل ، فإن كفر ينسب إلى غير أبيه ، وذلك لأن الإسلام للمسلمين كالأب ولهذا قال تعالى (إنما المؤمنون أخوة) جمع أخ بمعنى أخوة الولادة والإخوان جمعه بمعنى أخوة الصداقة والمحبة فإذن الكفر من حيث الحس والعرف أب ، فإن خالف دينه دين أبيه صار له من حيث الشرع أب آخر ، وفيه إرشاد الآباء إلى أن لا يشغلهم شيء عن الشفقة على الولد فيكون من القبيح الفاحش أن يشتغل الإنسان بالتفرج فى البستان مع الأحبة الإخوان وعن تحصيل قرت الولدان ، وكيف لا يشتغل أهل الجنة بما فى الجنة من الحور العين عن أولادهم حتى ذكروهم فأراح الله قلوبهم بقوله (ألحقنا بهم ذرياتهم) وإذا كان كذلك فما ظنك بالفاسق الذى يبذر ماله فى الحرام ويترك أولاده يتكففون وجوه اللئام والكرام ، نعوذ بالله منه وهذا يدل على أن من يورث أولاده مالا حلالا يكتب له به صدقة ، ولهذا لم يجوز للمريض التصرف فى أكثر من الثلث .

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ قوله تعالى (واتبعتهم ذريتهم[1]) فهذا ينبغى أن يكون دليلا على أنا فى الآخرة نلحق بهم لأن فى دار الدنيا مراعاة الأسباب أكثر . ولهذا لم يجر الله عادته على أن يقدم بين يدى الإنسان طعاماً من السماء ، فما يتسبب له بالزراعة والطحن والعجن لا يأكله ، وفى الآخرة

(١) فى الطبعة الأميرية (وأتبعناهم ذرياتهم) فى الموضعين وهى قراءة وعليها جري المفسر فى تفسيره ، وهى لا تفيد إيمان الذرية بخلاف قراءة حفص واتبعتهم ذريتهم فهى تفيد إيمان الذرية ، مع أن الذرية تابعة لأصلها لسقوط التكليف ، بل إن أولاد غير المؤمنين هم على فطرة الايمان بدليل الحديث «كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» .

وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ

يؤتيه ذلك من غير سعى جزاء له على ماسعى له من قبل فينبغى أن يجعل ذلك دليلا ظاهراً على أن الله تعالى يلحق به ولده وإن لم يعمل عملا صالحاً كما أتبعه ، وإن لم يشهد ولم يعتقد شيئاً .

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى (بإيمان) فان الله تعالى أتبع الولد الوالدين فى الإيمان ولم يتبعه أباه فى الكفر بدليل أن من أسلم من الكفار حكم بإسلام أولاده ، ومن ارتد من المسلمين والعياذ بالله لا يحكم بكفر ولده .

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ قال فى الدنيا (أتبعناهم) وقال فى الآخرة (ألحقنا بهم) وذلك لأن فى الدنيا لايدرك الصغير التبع مساوات المتبوع ، وإنما يكون هو تبعاً والأب أصلا لفضل الساعى على غير الساعى ، وأما فى الآخرة فإذا ألحق الله بفضله ولده به جعل له من الدرجة مثل ما لأبيه .

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ فى قوله تعالى ﴿ وما ألتناهم ﴾ تطييب لقلبهم وإزالة وهم المتوهم أن ثواب عمل الأب يوزع على الوالد والولد بل للوالد أجر عمله بفضل السعى ولأولاده مثل ذلك فضلا من الله ورحمة .

﴿ اللطيفة السادسة ﴾ فى قوله تعالى ﴿ من عملهم ﴾ ولم يقل من أجرهم ، وذلك لأن قوله تعالى (وما ألتناهم من عملهم) دليل على بقاء عملهم كما كان والأجر على العمل مع الزيادة فيكون فيه الإشارة إلى بقاء العمل الذى له الأجر الكبير الزائد عليه العظيم العائد إليه ، ولو قال : ما ألتناهم من أجرهم ، لكان ذلك حاصلا بأدنى شيء لأن كل ما يعطى الله عبده على عمله فهو أجر كامل ولأنه لو قال تعالى ماألتناهم من أجرهم ، كان مع ذلك يحتمل أن يقال إن الله تعالى تفضل عليه بالأجر الكامل على العمل الناقص ، وأعطاه الأجر الجزيل ، مع أن عمله كان له ولولده جميعاً ، وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قوله تعالى (والذين آمنوا) عطف على ماذا ؟ نقول على قوله (إن المتقين)

﴿ المسألة الثانية ﴾ إذا كان كذلك فلم أعاد لفظ (الذين آمنوا) وكان المقصود يحصل بقوله تعالى (وألحقنا بهم ذرياتهم) بعد قوله (وزوجناهم) وكان يصير التقدير وزوجناهم وألحقنا بهم ؟ نقول فيه فائدة وهو أن المتقين هم الذين اتقوا الشرك والمعصية وهم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال ههنا (الذين آمنوا) أى بوجود الإيمان يصير ولده من أهل الجنة ، ثم إن ارتكب الأب كبيرة أو صغيرة على صغيرة لايعاقب به ولده بل الوالد وربما يدخل الجنة الإبن قبل الأب ، وفيه لطيفة معنوية ، وهو أنه ورد فى الاخبار أن الولد الصغير يشفع لأبيه وذلك اشارة إلى الجزاء .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ هل يجوز غير ذلك ؟ نقول نعم يجوز أن يكون قوله تعالى (والذين آمنوا) عطفاً على (بحور عين) تقديره : زوجناهم بحور عين ، أى قرناهم بهن ، وبالذين آمنوا ، إشارة إلى قوله تعالى (إخواناً على سرر متقابلين) أى جمعنا شملهم بالأزواج والإخوان والأولاد بقوله تعالى (وأتبعناهم) وهذا الوجه ذكره الزمخشرى والأول أحسن وأصح ، فإن قيل كيف يصح على

كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾

هذا الوجه الإخبار بلفظ الماضى مع أنه سبحانه وتعالى بعد ماقرن بينهم ؟ قلنا صح فى وزوجناهم على ما ذكر الله تعالى من تزويجهن منا من يوم خلقهن وإن تأخر زمان الاقتران .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قرىء (ذرياتهم) فى الموضعين بالجمع وذريتهم فيهما بالفرد ، وقرىء فى الأول (ذرياتهم) وفى الثانية (ذريتهم) فهل للثالث وجه ؟ نقول نعم معنوى لا لفظى وذلك لأن المؤمن تتبعه ذرياته فى الإيمان ، وإن لم توجد على معنى أنه لو وجد له ألف ولد لكانوا أتباعه فى الإيمان حكما ، وأما الإلحاق فلا يكون حكما إنما هو حقيقة وذلك فى الموجود فالتابع أكثر من الملحوق فجمع فى الأول وأفرد الثانى .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ ماالفائدة فى تنكير الإيمان فى قوله (وأتبعناهم ذرياتهم[1] بإيمان)؟ نقول هو إما التخصيص أو التنكير كأنه يقول : أتبعناهم ذرياتهم بإيمان مخلص كامل أو يقول أتبعناهم بإيمان ما أى شىء منه فإن الإيمان كاملا لا يوجد فى الولد بدليل أن من له ولد صغير حكم بإيمانه فاذا بلغ وصرح بالكفر وأنكر التبعية قيل بأنه لا يكون مرتداً وتبين بقوله إنه لم يتبع وقيل بأنه يكون مرتداً لأنه كفر بعد ما حكم بإيمانه كالمسلم الأصلى فإذن بهذا الخلاف تبين أن إيمانه يقوى وهذان الوجهان ذكرهما الزمخشرى ، ويحتمل أن يكون المراد غير هذا وهو أن يكون التنوين للعوض عن المضاف إليه كما فى قوله تعالى (بعضهم ببعض) وقوله تعالى (وكلا وعد الله الحسنى) وبيانه هو أن التقدير أتبعناهم ذرياتهم بإيمان أى بسبب إيمانهم لأن الاتباع ليس بإيمان كيف كان وممن كان ، وإنما هو إيمان الآباء لكن الإضافة تنبىء عن تقييد وعدم كون الإيمان إيماناً على الإطلاق ، فإن قول القائل ماء الشجر وماء الرمان يصح وإطلاق اسم الماء من غير إضافة لا يصح فقوله (بإيمان) يوهم أنه إيمان مضاف إليهم ، كما قال تعالى (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) حيث أثبت الإيمان المضاف ولم يكن إيماناً ، فقطع الإضافة مع إرادتها ليعلم أنه إيمان صحيح وعوض التنوين ليعلم أنه لا يوجب الأمان فى الدنيا إلا إيمان الآباء وهذا وجه حسن .

قوله تعالى : ﴿ كل امرىء بما كسب رهين ﴾ قال الواحدى : هذا عود إلى ذكر أهل النار فإنهم مرتهنون فى النار ، وأما المؤمن فلا يكون مرتهنا قال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) وهو قول مجاهد وقال الزمخشرى (كل امرىء بما كسب رهين) عام فى كل أحد مرهون عند الله بالكسب فإن كسب خيراً فك رقبته وإلا أربق بالرهن والذى يظهر منه أنه عام فى حق كل أحد ، وفى الآية وجه آخر وهو أن يكون الرهين فعيلا بمعنى الفاعل ، فيكون المعنى والله أعلم كل امرىء بما كسب راهن أى دائم ، إن أحسن ففى الجنة مؤبداً ، وإن أساء ففى النار مخلداً ،

(١) كذلك رسمت فى الطبعة الأميرية وهو مخالف للرسم وهو كما سبق بيان فى صفحة (٢٥٠)

وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾

وقد ذكرنا أن فى الدنيا دوام الأعمال بدوام الأعيان فإن العرض لا يبقى إلا فى جوهر ولا يوجد إلا فيه ، وفى الآخرة دوام الأعيان بدوام الأعمال فإن الله يبقى أعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقى يبقى مع عامله .

قوله تعالى : ﴿ وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ﴾ أى زدناهم مأكولا ومشروباً ، أما المأكول فالفاكهة واللحم ، وأما المشروب فالكأس الذى يتنازعون فيها ، وفى تفسيرها لطائف :

﴿ اللطيفة الأولى ﴾ لما قال (ألحقنا بهم ذرياتهم) بين الزيادة ليكون ذلك جارياً على عادة الملوك فى الدنيا إذا زادوا فى حق عبد من عبيدهم يزيدون فى أقدار أخبازهم وأقطاعهم ، واختار من المأكول أرفع الأنواع وهو الفاكهة واللحم فإنهما طعام المتنعمين ، وجمع أوصافاً حسنة فى قوله مما يشتهون ، لأنه لو ذكر نوعا فربما يكون ذلك النوع غير مشتهى عند بعض الناس فقال كل أحد يعطى مايشتهى ، فان قيل الاشتهاء كالجوع وفيه نوع ألم ، نقول ليس كذلك ، بل الاشتهاء به اللذة والله تعالى لا يتركه فى الاشتهاء بدون المشتهى حتى يتألم ، بل المشتهى حاصل مع الشهوة والإنسان فى الدنيا لا يتألم إلا بأحد أمرين ، إما باشتهاء صادق وعجزه عن الوصول إلى المشتهى ، وإما بحصول أنواع الأطعمة والأشربة عنده وسقوط شهوته وكلاهما منتف فى الآخرة .

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ لما قال (وما ألتناهم) ونفى النقصان يصدق بحصول المساوى ، فقال ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوى ، بطريق آخر وهو الزيادة والإمداد ، فإن قيل أكثر الله من ذكر الأكل والشرب ، وبعض العارفين يقولون لخاصة الله بالله شغل شاغل عن الأكل والشرب وكل ماسوى الله ، نقول هذا على العمل ، ولهذا قال تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) وقال (بما كنتم تعملو) وأما على العلم بذلك فذلك ، ولهذا قال (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم) أى للنفوس ماتتفكه به ، وللأرواح ماتتمناه من القربة والزلفى .

قوله تعالى : ﴿ يتنازعون فيها كأساً ﴾ فيكون ذلك على عادة الملوك إذا جلسوا فى مجالسهم للشرب يدخل عليهم بفواكه ولحوم وهم على الشرب ، وقوله تعالى (يتنازعون) أى يتعاطون ويحتمل أن يقال التنازع التجاذب وحينئذ يكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة ، وفيه نوع لذة وهو بيان ماهو عليه حال الشراب فى الدنيا فإنهم يتفاخرون بكثرة الشرب ولا يتفاخرون بكثرة الأكل، ولهذا إذا شرب أحدهم يرى الآخر واجباً أن يشرب مثل ماشربه حريفه ولا يرى واجباً أن يأكل مثل ما أكل نديمه وجليسه .

قوله تعالى : ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ وسواء قلنا (فيها) عائدة إلى الجنة أو إلى الكاس فذكرهما

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

لجريان ذكر الشراب وحكايته على ما فى الدنيا . فقال تعالى ليس فى الشرب فى الآخرة كل ما فيه فى الدنيا من اللغو بسبب زوال العقل ومن التأثيم الذى بسبب نهوض الشهوة والغضب عند وفور العقل والفهم ، وفيه وجه ثالث ، وهو أن يقال لا يعتريه كما يعترى الشارب بالشرب فى الدنيا فلا يؤثم أى لا ينسب إلى إثم ، وفيه وجه رابع ، وهو أن يكون المراد من التأثيم السكر ، وحينئذ يكون فيه ترتيب حسن وذلك لأن من الناس من يسكر ويكون رزين العقل عديم اعتياد العربدة فيسكن وينام ولا يؤذى ولا يتأذى ولا يهذى ولا يسمع إلى من هذى ، ومنهم من يعربد فقال (لا لغو فيها) .

قوله تعالى : ﴿ ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ﴾ أى بالكؤوس وقال تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين) وقوله (لهم) أى ملكهم إعلاماً لهم بقدرتهم على التصرف فيهم بالأمر والنهى والاستخدام وهذا هو المشهور ويحتمل وجهاً آخر وهو أنه تعالى لما بين امتياز خمر الآخرة عن خمر الدنيا بين امتياز غلمان الآخرة عن غلمان الدنيا ، فإن الغلمان فى الدنيا إذا طافوا على السادة الملوك يطوفون عليهم لحظ أنفسهم إما لتوقع النفع أو لتوفر الصفح ، وأما فى الآخرة فطوفهم عليهم متمحض لهم ولنفعهم ولا حاجة لهم إليهم والغلام الذى هذا شأنه له مزية على غيره وربما يبلغ درجة الأولاد . وقوله تعالى (كأنهم لؤلؤ) أى فى الصفاء ، و (مكنون) ليفيد زيادة فى صفاء ألوانهم أو لبيان أنهم كالمخدرات لا بروز لهم ولا خروج من عندهم فهم فى أكنافهم .

قوله تعالى : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين ، فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم ﴾ إشارة إلى أنهم يعلمون ما جرى عليهم فى الدنيا ويذكرونه ، وكذلك الكافر لا ينسى ما كان له من النعيم فى الدنيا ، فتزداد لذة المؤمن من حيث يرى نفسه انتقلت من السجن إلى الجنة ومن الضيق إلى النعمة ، ويزداد الكافر ألماً حيث يرى نفسه منتقلة من الشرف إلى التلف ومن النعيم إلى الجحيم ، ثم يتذكرون ما كانوا

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

عليه فى الدنيا من الخشية والخوف ، فيقولون (إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) وهو أنهم يكون تساؤلهم عن سبب ماوصلوا إليه فيقولون خشية الله كنا نخاف الله (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) وفيه لطيفة وهو أن يكون إشفاقهم على فوات الدنيا والخروج منها ومفارقة الإخوان ثم لما نزلوا الجنة علموا خطأهم .

قوله تعالى : ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ، قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين ﴾ وتعلق الآية بما قبلها ظاهر لأنه تعالى بين أن فى الوجود قوماً يخافون الله ويشفقون فى أهليهم ، والنبى ﷺ مأمور بتذكير من يخاف الله تعالى بقوله (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) فحقق من يذكره فوجب التذكير .وأما الرسول عليه السلام فليس له إلا الإتيان بما أمر به ، وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى الفاء فى قوله (فذكر) قد علم تعلقه بما قبله فحسن ذكره بالفاء .

﴿ المسألة الثانية ﴾ معنى الفاء فى قوله (فما أنت) أيضاً قد علم أى أنك لست بكاهن فلا تتغير ولا تتبع أهواءهم ، فإن ذلك سيرة المزور (فذكر) فإنك لست بمزور ، وذلك سبب التذكير .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ماوجه تعلق قوله (نتربص به ريب المنون) بقوله(شاعر) ؟ نقول فيه وجهان (الأول) أن العرب كانت تحترز عن إيذاء الشعراء وتتقى ألسنتهم ، فإن الشعر كان عندهم يحفظ ويدون ، وقالوا لانعارضه فى الحال مخافة أن يغلبنا بقوة شعره ، وإنما سبيلنا الصبر وتربص موته (الثانى) أنه ﷺ كان يقول إن الحق دين الله ، وإن الشرع الذى أتيت به يبقى أبد الدهر وكتابى يتلى إلى قيام الساعة ، فقالوا ليس كذلك إنما هو شاعر ، والذى يذكره فى حق آلهتنا شعر ولا ناصر له وسيصيبه من بعض آلهتنا الهلاك فنتربص به ذلك .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ مامعنى ريب المنون ؟ نقول قيل هو اسم للموت فعول من المن وهو القطع والموت قطوع ، ولهذا سمى بمنون ، وقيل المنون الدهر وريبه حوادثه ، وعلى هذا قولهم (نتربص) يحتمل وجهاً آخر ، وهو أن يكون المراد أنه إذاكان شاعراً فصروف الزمان ربما تضعف ذهنه وتورث وهنه فيتبين لكل فساد أمره وكساد شعره .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ كيف قال (تربصوا) بلفظ الأمر وأمر النبى ﷺ يوجب المأمور [به] أو يفيد جوازه ، وتربصهم ذلك كان حراماً ؟ نقول ذلك ليس بأمر وإنما هو تهديد معناه تربصوا ذلك فانا نتربص الهلاك بكم على حد مايقول السيد الغضبان لعبده افعل ماشئت فانى لست عنك

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾

بغافل وهو أمر لتهوين الأمر على النفس ، كما يقول القائل لمن يهدده برجل ويقول أشكوك إلى زيد فيقول اشكني أي لا يهمني ذلك وفيه زيادة فائدة ، وذلك لأنه لو قال لا تشكني لكان ذلك دليل الخوف وينافيه معناه ، فأتى بجواب تام من حيث اللفظ والمعنى ، فإن قيل لو كان كذلك لقال تربصوا أو لا تربصوا كما قال (اصبروا أولا تصبروا) نقول ليس كذلك لأنه إذا قال القائل فيما ذكرناه من المثال اشكني أو لا تشكني يكون ذلك مفيداً عدم خوفه منه ، فإذا قال اشكني يكون أدل على عدم الخوف ، فكأنه يقول أنا فارغ عنه ، وإنما أنت تتوهم أنه يفيد فافعل حتى يبطل اعتقادك .

﴿ المسألة السادسة ﴾ في قوله تعالى (فإني معكم من المتربصين) وهو يحتمل وجوهاً (أحدها) إني معكم من المتربصين أتربص هلاككم وقد أهلكوا يوم بدر وفي غيره من الأيام هذا ما عليه الأكثرون والذي نقوله في هذا المقام هو أن الكلام يحتمل وجوهاً وبيانها هو أن قوله تعالى (نتربص به ريب المنون) إن كان المراد من المنون الموت فقوله (إني معكم من المتربصين) معناه إني أخاف الموت ولا أتمناه لا لنفسي ولا لأحد ، لعدم علمي بما قدمت يداه وإنما أنا نذير وأنا أقول ما قال ربي (أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فتربصوا موتي وأنا متربصه ولا يسركم ذلك لعدم حصول ما تتوقعون بعدي ، ويحتمل أن يكون كما قيل تربصوا موتي فإني متربص موتكم بالعذاب ، وإن قلنا المراد من ريب المنون صروف الدهر فمعناه إنكار كون صروف الدهر مؤثرة فكأنه يقول أنا من المتربصين حتى أبصر ماذا يأتي به دهركم الذي تجعلونه مهلكا وماذا يصيبني منه ، وعلى التقديرين فنقول النبي ﷺ يتربص ما يتربصون ، غير أن في الأول تربصه مع اعتقاد الوقوع ، وفي الثاني تربصه مع اعتقاد عدم التأثير ، على طريقة من يقول أنا أيضاً أنتظر ما ينتظره حتى أرى ماذا يكون منكراً عليه وقوع ما يتوقع وقوعه ، وإنما هذا لأن ترك المفعول في قوله (إني معكم من المتربصين) لكونه مذكوراً وهو ريب المنون أولى من تركه وإرادة غير المذكور وهو العذاب (الثاني) أتربص صروف الدهر ليظهر عدم تأثيرها فهو لم يتربص بهم شيئاً على الوجهين ، وعلى هذا الوجه يتربص بقاءه بعدهم وارتفاع كلمته فلم يتربص بهم شيئاً على الوجوه التي اخترناها فقال (إني معكم من المتربصين) .

قوله تعالى : ﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون ﴾ وأم هذه أيضاً على ما ذكرنا متصلة تقديرها أنزل عليهم ذكر ؟ أم تأمرهم أحلامهم بهذا ؟ وذلك لأن الأشياء إما أن تثبت بسمع وإما أن تثبت بعقل فقال هل ورد أمر سمعي ؟ أم عقولهم تأمرهم بما كانوا يقولون ؟ أم هم قوم طاغون يغترون ، ويقولون ما لا دليل عليه سمعاً ولا مقتضى له عقلا ؟ والطغيان مجاوزة الحد في العصيان وكذلك كل شيء ظاهره مكروه ، قال الله تعالى (إنا لما طغى الماء) وفيه مسائل :

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾ إذا كان المراد ماذكرت فلم أسقط مايصدر به ؟ تقول لأن كون ما يقولون به مسنداً إلى نقل معلوم عدمه لاينفى ، وأما كونه معقولا فهم كانوا يدعون أنه معقول ، وأما كونهم طاغين فهو حق ، فخص الله تعالى بالذكر ما قالوا به وقال الله به ، فهم قالوا نحن نتبع العقل ، والله تعالى قال هم طاغون فذكر الأمرين اللذين وقع فيهما الخلاف .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (تأمرهم أحلامهم) إشارة إلى أن كل مالا يكون على وفق العقل ، لاينبغي أن يقال ، وإنما ينبغي أن يقال مايجب قوله عقلا ، فهل صار [كل] واجب عقلا مأموراً به .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ما الأحلام ؟ نقول جمع حلم وهو العقل وهما من باب واحد من حيث المعنى ، لأن العقل يضبط المرء فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك من مكانه ، والحلم من الحلم وهو أيضاً سبب وقار المرء وثباته ، وكذلك يقال للعقول النهى من النهى وهو المنع ، وفيه معنى لطيف وهو أن الحلم فى أصل اللغه هو مايراه النائم فينزل ويلزمه الغسل ، وهو سبب البلوغ وعنده يصير الإنسان مكلفاً ، وكأن الله تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة كمل العقل فأشار إلى العقل بالإشارة إلى مايقارنه وهو الحلم ، ليعلم أنه نذير كمال العقل ، لاالعقل الذى به يحترز الإنسان تخطيء الشرك ودخول النار ، وعلى هذا ففيه تأكيد لما ذكرنا أن الإنسان لا ينبغى أن يقول كل معقول ، بل لا يقول إلا ما يأمر به العقل الرزين الذى يصحح التكليف .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ هذا إشارة إلى ماذا ؟ نقول فيه وجوه (الأول) أن يكون هذا إشارة مبهمة ، أى بهذا الذى يظهر منهم قولا وفعلا حيث يعبدون الأصنام والأوثان ويقولون الهذيان من الكلام (الثانى) هذا إشارة إلى قولهم هو كاهن هو شاعر هو مجنون (الثالث) هذا إشارة إلى التربص فانهم لما قالوا نتربص قال الله تعالى أعقولهم تأمرهم بتربص هلاكهم فإن أحداً لم يتوقع هلاك نبيه إلا وهلك .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ هل يصح أن تكون أم فى هذا الموضع بمعنى بل ؟ نقول نعم ، تقديره يقولون : إنه شاعر قولا بل يعتقدونه عقلا ويدخل فى عقولهم ذلك ، أى ليس ذلك قولا منهم من غير عقل بل يعتقدون كونه كاهناً ومجنوناً ، ويدل عليه قراءة من قرأ بل هم قوم طاغون ، لكن بل ههنا واضح وفى قوله بل تأمرهم أحلامهم خفى .

ثم قال تعالى ﴿ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون ﴾ وهو متصل بقوله تعالى أم يقولون شاعر نتربص به ، وتقديره على ماذكرنا أتقولون كاهن ، أم تقولون شاعر ، أم تقوله .

ثم قال لبطلان جميع الأقسام ﴿ فليأتو بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ أى إن كان هو شاعراً ففيكم الشعراء البلغاء والكهنة الأذكياء ومن يرتجل الخطب والقصائد ويقص القصص ولا يختلف

الناقص والزائد فليأتوا بمثل ماأتي به ، والتقول يراد به الكذب . وفيه إشارة إلى معنى لطيف وهو أن التفعل للتكلف وإراءة الشيء وهو ليس على مايرى يقال تمرض فلان أى لم يكون مريضاً وأرى من نفسه المرض وحينئذ كأنهم كانوا يقولون كذب وليس بقول إنما هو تقول صورة القول وليس فى الحقيقة به ليعلم أن المكذب هو الصادق ، وقوله تعالى (بل لايؤمنون) بيان هذا أنهم كانوا فى زمان نزول الوحى وحصول المعجزة كانوا يشاهدونها وكان ذلك يقتضى أن يشهدوا له عند غيرهم ويكونوا كالنجوم للمؤمنين كما كانت الصحابة رضى الله عنهم وهم لم يكونوا كذلك بل أقل من ذلك لم يكونوا أيضاً وهو أن يكونوا من آحاد المؤمنين الذين لم يشهدوا تلك الأمور ولم يظهر الأمر عندهم ذلك الظهور .

قوله تعالى : ﴿ فليأتوا ﴾ الفاء للتعقيب أى إذا كان كذلك فيجب عليهم أن يأتوا بمثل ما أتى به ليصح كلامهم ويبطل كلامه وفيه مباحث :

﴿ الأول ﴾ قال بعض العلماء (فليأتوا) أمر تعجيز بقول القائل لمن يدعى أمراً أو فعلا ويكون غرضه إظهار عجزه ، والظاهر أن الأمر ههنا مبق على حقيقته لأنه لم يقل : ائتوا مطلقاً بل إنما قال : ائتوا إن كنتم صادقين ، وعلى هذا التقدير ووجود ذلك الشرط يجب الإتيان به وأمر التعجيز فى كلام الله تعالى قوله تعالى (إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر) وليس هذا بحثاً يورث خللا فى كلامهم .

﴿ الثانى ﴾ قالت المعتزلة الحديث محدث والقرآن سماه حديثاً فيكون محدثاً ، نقول الحديث اسم مشترك ، يقال المحدث والقديم ، ولهذا يصح أن يقال هذا حديث قديم بمعنى متقادم العهد لا بمعنى سلب الأولية وذلك لانزاع فيه .

﴿ الثالث ﴾ النحاة يقولون الصفة تتبع الموصوف فى التعريف والتنكير ، لكن الموصوف حديث وهو منكر ومثل مضاف إلى القرآن والمضاف إلى المعرف معرف ، فكيف هذا ؟ نقول مثل وغير لا يتعرفان بالإضافة وكذلك كل ما هو مثلهما والسبب أن غير أو مثلا وأمثالهما فى غاية التنكير ، فإنك إذا قلت ما رأيت شيئاً مثل زيد يتناول كل شىء فإن كل شىء مثل زيد فى كونه شيئاً ، فالجماد مثله فى الجسم والحجم والإمكان ، والنبات مثله فى النشوء والنماء والذبول والفناء ، والحيوان مثله فى الحركة والإدراك وغيرهما من الأوصاف ، وإما غير فهو عند الإضافة ينكر وعند قطع الإضافة ربما يتعرف فإنك إذا قلت غير زيد صار فى غاية الإبهام فإنه يتناول أموراً لاحصر لها ، وأما إذا قطعته عن الإضافة ربما تقول الغير والمغايرة من باب واحد وكذلك التغير فتجعل الغير كأسماء الأجناس ، أو تجعله مبتدأ وتريد به معنى معيناً .

﴿ الرابع ﴾ إن كانوا صادقين ، أى فى قولهم (تقوله) وقد ذكرنا أن ذلك راجع إلى ما سبق من أنه كاهن وأنه مجنون ، وأنه شاعر ، وأنه متقول ، ولو كانوا صادقين فى شىء من ذلك لهان عليهم الإتيان بمثل القرآن ، ولما امتنع كذبوا فى الكل .

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ البحث الخامس ﴾ قد ذكرنا أن القرآن معجز ولا شك فيه ، فإن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثل ما يقرب منه عند التحدى . فإما أن يكون كونه معجزاً لفصاحته وهو مذهب أكثر أهل السنة وإما أن يكون معجزاً لصرف الله عقول العقلاء عن الإتيان بمثله ، وعقله ألسنتهم عن النطق بما يقرب منه ، ومنع القادر من الإتيان بالمقدور كإتيان الواحد بفعل لا يقدر عليه غيره فإن من قال لغيره أنا أحرك هذا الجبل يستبعد منه ، وكذا إذا قال إنى أفعل فعلا لا يقدر الخلق [معه] على حمل تفاحة من موضعها يستبعد منه على أن كل واحد فعل معجز إذا اتصل بالدعوى ، وهذا مذهب بعض المتكلمين ولا فساد فيه وعلى أن يقال هو معجز بهما جميعاً .

قوله تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ﴾ ومن هنا لا خلاف أن أم ليست بمعنى بل ، لكن أكثر المفسرين على أن المراد ما يقع فى صدر الكلام من الاستفهام ، إما بالهمزة فكأنه يقول أخلقوا من غير شىء أو هل ، ويحتمل أن يقال هو على أصل الوضع للاستفهام الذى يقع فى أثناء الكلام وتقديره أما خلقوا ، أم خلقوا من غير شىء ، أم هم الخالقون ؟ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما وجه تعلق الآية بما قبلها ؟ نقول لما كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم ونسبوه إلى الكهانة والجنون والشعر وبرأه الله من ذلك ، ذكر الدليل على صدقه إبطالا لتكذيبهم وبدأ بأنفسهم ، كأنه يقول كيف يكذبونه وفى أنفسهم دليل صدقه لأن قوله فى ثلاثة أشياء فى التوحيد والحشر والرسالة ففى أنفسهم ما يعلم به صدقه ، وبيانه هو أنهم خلقوا وذلك دليل التوحيد لما بينا أن فى كل شىء له آية ، تدل على أنه واحد ، وقد بينا وجهه مراراً فلا نعيده .

وأما الحشر فلأن الخلق الأول دليل على جواز الخلق الثانى وإمكانه ، ويدل على ما ذكرنا أن الله تعالى ختم الاستفهامات بقوله (أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ إذا كان الأمر على ما ذكرت فلم حذف قوله أما خلقوا ؟ نقول : لظهور انتفاء ذلك ظهوراً لا يبقى معه للخلاف وجه ، فإن قيل فلم لم يصدر بقوله أما خلقوا ويقول أم خلقوا من غير شىء ؟ نقول ليعلم أن قبل هذا أمراً منفياً ظاهراً ، وهذا المذكور قريب منه فى ظهور البطلان فإن قيل قوله (أم خلقوا من غير شىء) أيضاً ظاهر البطلان ، لأنهم علموا أنهم مخلوقون من تراب وماء ونطفة ، نقول الأول أظهر فى البطلان لأن كونهم غير مخلوقين أمر يكون مدعيه منكراً للضرورة فنكره منكر لأمر ضرورى .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ما المراد من قوله تعالى (من غير شىء) ؟ نقول فيه وجوه المنقول منها أنهم

خلقوا من غير خالق وقيل إنهم خلقوا لالشيء عبثاً ، وقيل إنهم خلقوا من غير أب وأم ، ويحتمل أن يقال أم خلقوا من غير شيء ، أى ألم يخلقوا من تراب أو من ماء ، ودليله قوله تعالى (ألم نخلقكم من ماء مهين) ويحتمل أن يقال الاستفهام الثانى ليس بمعنى النفى بل هو بمعنى الإثبات قال الله تعالى (ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) كل ذلك فى الأول منفى وفى الثانى مثبت كذلك ههنا قال الله تعالى (أم خلقوا من غير شيء) أى الصادق هو هذا الثانى حينئذ ، وهذا كما فى قوله تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) فإن قيل كيف يكون ذلك الإثبات والآدمى خلق من تراب ؟ نقول والتراب خلق من غير شيء ، فالإنسان إذا نظرت إلى خلقه وأسندت النظر إلى ابتداء أمره وجدته خلق من غير شيء ، أو نقول المراد أم خلقوا من غير شيء مذكور أو معتبر وهو الماء المهين .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ما الوجه فى ذكر الأمور الثلاثة التى فى الآية ؟ نقول هى أمور مرتبة كل واحد منها يمنع القول بالوحدانية والحشر فاستفهم بها ، وقال أما خلقوا أصلا ، ولذلك ينكرون القول بالتوحيد لانتفاء الإيجاد وهو الخلق ، وينكرون الحشر لانتفاء الخلق الأول أم خلقوا من غير شيء ، أى أم يقولون بأنهم خلقوا لا لشيء فلا إعادة ، كما قال (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً) . وعلى قولنا إن المراد خلقوا لا من تراب ولا من ماء فله وجه ظاهر ، وهو أن الخلق إذا لم يكن من شيء بل يكون إبداعياً يخفى كونه مخلوقاً على بعض الأغبياء ، ولهذا قال بعضهم السماء رفع اتفاقاً ووجد من غير خالق وأما الإنسان الذى يكون أولا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحماً وعظماً لا يتمكن أحد من إنكاره بعد مشاهدة تغير أحواله فقال تعالى (أم خلقوا) بحيث يخفى عليهم وجه خلقهم بأن خلقوا ابتداء من غير سبق حالة عليهم يكونون فيها تراباً ولا ماء ولا نطفة ليس كذلك بل هم كانوا شيئاً من تلك الأشياء خلقوا منه خلقاً ، فما خلقوا من غير شيء حتى ينكروا الوحدانية ولهذا قال تعالى (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق) ولهذا أكثر الله من قوله (خلقنا الإنسان من نطفة) وقوله (ألم نخلقكم من ماء مهين) يتناول الأمرين المذكورين فى هذا الموضع لأن قوله (ألم نخلقكم من ماء) يحتمل أن يكون نفى المجموع بنفى الخلق فيكون كأنه قال : أخلقتم لا من ماء ، وعلى قول من قال المراد منه أم خلقوا من غير شيء ، أى من غير خالق ففيه ترتيب حسن أيضاً وذلك لأن نفى الصانع ، إما أن يكون بنفى كون العالم مخلوقاً فلا يكون ممكناً ، وإما أن يكون ممكناً لكن الممكن لا يكون محتاجا فيقع الممكن من غير مؤثر وكلاهما محال . وأما قوله تعالى (أم هم الخالقون) فمعناه أم هم الخالقون للخلق فيعجز الخالق بكثرة العمل ، فإن دأب الإنسان أنه يعيا بالخلق ، فما قولهم أما خلقوا فلا يثبت لهم إله البتة ، أم خلقوا وخفى عليهم وجه الخلق أم جعلوا الخالق مثلهم فنسبوا إليه العجز ، ومثله قوله تعالى (أفعيينا بالخلق الأول) هذا بالنسبة إلى الحشر وأما بالنسبة إلى التوحيد فهو رد عليهم حيث قالوا الأمور مختلفة واختلاف الآثار يدل على اختلاف المؤثرات وقالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) فقال تعالى (أم هم الخالقون) حيث لا يقدر

أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

الخباز على الخياطة والخياط على البناء وكل واحد يشغله شأن عن شأن .

قوله تعالى : ﴿أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾ وفيه وجوه (أحدها) ما اختاره الزمخشرى وهو أنهم لا يوقنون بأنهم خلقوا وهو حينئذ فى معنى قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) أى هم معترفون بأنه خالق الله وليس خالق أنفسهم (وثانيها) المراد بل لا يوقنون بأن الله واحد وتقديره ليس الأمر كذلك أى ما خلقوا وإنما لا يوقنون بوحدة الله (وثالثها) لا يوقنون أصلا من غير ذكر مفعول يقال فلان ليس بمؤمن وفلان ليس بكافر لبيان مذهبه وإن لم ينو مفعولا ، وكذلك قول القائل فلان يؤذى ويؤدى لبيان مافيه لا مع القصد إلى ذكر مفعول ، وحينئذ يكون تقديره أنهم ما خلقوا السموات والأرض ولا يوقنون بهذه الدلائل ، بل لا يوقنون أصلا وإن جئتهم بكل آية ، يدل عليه قوله تعالى بعد ذلك (وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم) وهذه الآية إشارة إلى دليل الآفاق ، وقوله من قبل (أم خلقوا) دليل الأنفس .

قوله تعالى : ﴿أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون﴾ وفيه وجوه (أحدها) المراد من الخزائن خزائن الرحمة (ثانيها) خزائن الغيب (ثالثها) أنه إشارة إلى الأسرار الإلهية المخفية عن الأعيان (رابعها) خزائن المخلوقات التى لم يرها الإنسان ولم يسمع بها ، وهذه الوجوه الأول والثانى منقول ، والثالث والرابع مستنبط ، وقوله تعالى (أم هم المسيطرون) تتمة للرد عليهم ، وذلك لأنه لما قال (أم عندهم خزائن ربك) أشارة إلى أنهم ليسوا بخزنة [رحمة] الله فيعلموا خزئن الله ، وليس بمجرد انتفاء كونهم خزنة ينتفى العلم لجواز أن يكون مشرفاً على الخزانة ، فإن العلم بالخزائن عند الخازن والكاتب فى الخزانة ، فقال لستم بخزنة ولا بكتبة الخزانة المسلطين عليها ، ولا يبعد تفسير المسيطرين بكتبة الخزانة ، لأن التركيب يدل على السطر وهو يستعمل فى الكتاب ، وقيل المسيطر المسلط وقرىء بالصاد ، وكذلك فى كثير من السينات التى مع الطاء ، كما فى قوله تعالى (بمسيطر) و [قد قرىء] مصيطر .

قوله تعالى : ﴿ أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ﴾ وهو أيضاً تتميم للدليل ، فإن من لا يكون خازناً ولا كاتباً قد يطلع على الأمر بالسماع من الخازن أو الكاتب ،

أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾

فقال أنتم لستم بخزنة ولا كتبة ولا اجتمعتم بهم ، لأنهم ملائكة ولا صعود لكم إليهم ، وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ المقصود نفي الصعود ، ولا يلزم من نفي السلم لهم نفي الصعود ، فما الجواب عنه ؟ نقول النفي أبلغ من نفي الصعود ، وهو نفي الاستماع وآخر الآية شامل للكل ، قال تعالى : (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ السلم لا يستمع فيه ، وإنما يستمع عليه . فما الجواب ؟ نقول من وجهين : (أحدهما) ما ذكره الزمخشري أن المراد (يستمعون) صاعدين فيه (وثانيهما) ما ذكره الواحدي أن في بمعنى على ، كما في قوله تعالى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) أي جذوع النخل ، وكلاهما ضعيف لما فيه من الإضمار والتغيير .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ لم ترك ذكر مفعول (يستمعون) وماذا هو ؟ نقول فيه وجوه (أحدها) المستمع هو الوحي ، أي هل لهم سلم يستمعون فيه الوحي (ثانيها) يستمعون ما يقولون من أنه شاعر ، وأن لله شريكا ، وأن الحشر لا يكون (ثالثها) ترك المفعول رأساً ، كأنه يقول : هل لهم قوة الاستماع من السماء حتى يعلموا أنه ليس برسول ، وكلامه ليس برسل .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قال (فليأت مستمعهم) ولم يقل فليأتوا ، كما قال تعالى (فليأتوا بحديث مثله) نقول طلب منهم ما يكون أهون على تقدير صدقهم ، ليكون امتناعهم عليه أدل على بطلان قولهم ، فقال هناك (فليأتوا) أي اجتمعوا عليه وتعاونوا ، وأتوا بمثله ، فإن ذلك عند الاجتماع أهون ، وأما الارتقاء في السلم بالاجتماع [فإنه] متعذر . لأنه لا يرتقي إلا واحد بعد واحد ، ولا يحصل في الدرجة العليا إلا واحد . فقال (فليأت) ذلك الواحد الذي كان أشد رقياً بما سمعه .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قوله (بسلطان مبين) ما المراد به ؟ نقول هو إشارة إلى لطيفة ، وهي أنه لو طلب منهم ما سمعوه ، وقيل لهم (فليأت مستمعهم) بما سمع لكان لواحد أن يقول : أنا سمعت كذا وكذا فيفتري كذباً ، فقال لا . بل الواجب أن يأتي بدليل يدل عليه .

قوله تعالى : ﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾ إشارة إلى نفي الشرك ، وفساد ما يقولون بطريق آخر ، وهو أن المتصرف إنما يحتاج إلى الشريك لعجزه ، والله قادر فلا شريك له ، فإنهم قالوا : نحن لا نجعل هذه الأصنام وغيرها شركاء ، وإنما نعظمها لأنها بنات الله ، فقال تعالى : كيف تجعلون لله البنات ، وخلق البنات والبنين إنما كان لجواز الفناء على الشخص ، ولولا التوالد لانقطع النسل وارتفع الأصل ، من غير أن يقوم مقامه الفصل ، فقدر الله التوالد ، ولهذا لا يكون في الجنة ولادة ، لأن الدار دار البقاء ، لا موت فيها للآباء ، حتى تقام العمارة بحدوث الأبناء . إذا ثبت هذا فالولد إنما يكون في صورة إمكان فناء الأب ، ولهذا قال تعالى في أوائل سورة آل عمران

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠)

(الحى القيوم) أى حى لا يموت فيحتاج إلى ولد يرثه ، وهو قيوم لا يتغير ولا يضعف ، فيفتقر إلى ولد ليقوم مقامه ، لأنه ورد فى نصارى نجران . ثم إن الله تعالى بين هذا بأبلغ الوجوه ، وقال إنهم يجعلون له بنات ، ويجعلون لأنفسهم بنين ، مع أن جعل البنات لهم أولى ، وذلك لأن كثير البنات تعين على كثرة الأولاد ، لأن الإناث الكثيرة يمكن منهن الولادة بأولاد كثيرة من واحد . وأما الذكور الكثيرة لا يمكن منهم إحبال أنثى واحدة بأولاد ، ألا ترى أن الغنم لا يذبح منها الإناث إلا نادراً ، وذلك لما ثبت أن إبقاء النوع بالأنثى أنفع نظراً إلى التكثير ، فقال تعالى : أنا القيوم الذى لا فناء لى ، ولا حاجة لى فى بقاء النوع فى حدوث الشخص ، وأنتم معرضون الموت العاجل ، وبقاء العالم بالإناث أكثر ، وتتبرءون منهن والله تعالى مستغن عن ذلك وتجعلون له البنات ، وعلى هذا فما تقدم كان إشارة إلى نفى الشريك نظراً إلى أنه لا ابتداء له ، وهذا إشارة إلى نفى الشريك نظراً إلى أنه لا فناء له ، فإن قيل كيف وقع لهم نسبة البنات إلى الله تعالى مع أن هذا أمر فى غاية القبح لا يخفى على عاقل ، والقوم كان لهم العقول التى هى مناط التكاليف ، وذلك القدر كاف فى العلم بفساد هذا القول ؟ نقول ذلك القول دعاهم إليه اتباع العقل ، وعدم اعتبار النقل ، ومذهبهم فى ذلك مذهب الفلاسفة حيث يقولون يجب اتباع العقل الصريح ، ويقولون النقل بمعزل لا يتبع إلا إذا وافق العقل ، وإذا وافق فلا اعتبار للنقل ، لأن العقل هناك كاف ، ثم قالوا الوالد يسمى والداً ، لأنه سبب وجود الولد ، ولهذا يقال : إذا ظهر شىء من شىء هذا تولد من ذلك ، فيقولون الحى تتولد من عفونة الخلط ، فقالوا الله تعالى سبب وجود الملائكة سبباً واجباً لا اختيار له فسموه بالوالد ، ولم يلتفتوا إلى وجوب تنزيه الله فى تسميته بذلك عن التسمية بما يوهم النقص ، ووجوب الاقتصار فى أسمائه على الأسماء الحسنى التى ورد بها الشرع لعدم اعتبارهم النقل ، فقالوا يجوز إطلاق الأسماء المجازية والحقيقية على الله تعالى وصفاته ، فسموه عاشقاً ومعشوقاً ، وسموه أباً ووالداً ، ولم يسموه ابناً ولا مولوداً باتفاقهم ، وذلك ضلالة .

قوله تعالى : ﴿ أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون ﴾ .

وجه التعلق هو أن المشركين لما اطرحوا الشرع واتبعوا ماظنوه عقلا ، وسموا الموجود بعد العدم مولوداً ومتولداً ، والموجد والداً لزمهم الكفر بسببه والإشراك ، فقال لهم ما الذى يحملكم على اطراح الشرع ، وترك اتباع الرسول ﷺ ؟ هل ذلك لطلبه منكم شيئاً فما كان يسعهم أن يقولوا نعم ، فلم يبق لهم إلا أن يقولوا لا ، فنقول لهم : كيف اتبعتم قول الفلسفى الذى يسوغ لكم الزور ومايوجب الاستخفاف بجانب الله تعالى لفظاً إن لم يكن معنى كما تقولون ، ولا تتبعون الذى يأمركم بالعدل فى المعنى والإحسان فى اللفظ ، ويقول لكم اتبعوا المعنى الحق الواضح واستعملوا اللفظ

الحسن المؤدب ؟ وهذا فى غاية الحسن من التفسير ففيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ ما الفائدة فى سؤال النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال أم تسألهم ولم يقل أم يسألون أجراً كما قال تعالى (أم يقولون) وقال تعالى (أم يريدون كيداً) إلى غير ذلك ؟ نقول فيه فائدتان :

﴿ إحداهما ﴾ تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأنهم لما امتنعوا من الاستماع واستنكفوا من الاتباع صعب على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له ربه أنت أتيت بما عليك فلا يضيق صدرك حيث لم يؤمنوا فأنت غير ملوم ، وإنما كنت تلام لو كنت طلبت منهم أجراً فهل طلبت ذلك فأثقلهم ؟ لا فلا حرج عليك إذاً .

﴿ ثانيهما ﴾ أنه لو قال أم يسألون لزم نفي أجر مطلقاً وليس كذلك ، وذلك لأنهم كانوا يشركون ويطالبون بالأجر من رؤسائهم ، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أنت لا تسألهم أجراً فهم لا يتبعونك وغيرك يسألهم وهم يسألون ويتبعون السائلين وهذا غاية الضلال .

﴿ المسألة الثانية ﴾ إن قال قائل ألزمت أن تبين أن أم لا تقع إلا متوسطة حقيقة أو تقديراً فكيف ذلك ههنا ؟ نقول كأنه تعالى يقول أنهديهم لوجه الله أم تسألهم أجراً ، وترك الأول لعدم وقوع الإنكار عليه كما قلنا فى قوله (أم له البنات) إن المقدار هو واحد أم له البنات ، وترك ذكر الأول لعدم وقوع الإنكار عليه من الله تعالى وكونهم قائلين بأنه لا يريد وجه الله تعالى ، وإنما يريد الرياسة والأجر فى الدنيا .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ هل فى خصوص قوله تعالى أجراً فائدة لا توجد فى غيره لو قال أم تسألهم شيئاً أو مالا أو غير ذلك ؟ نقول نعم ، وقد تقدم القول منى أن كل لفظ فى القرآن فيه فائدة وإن كنا لا نعلمها ، والذى يظهر ههنا أن ذلك إشارة إلى أن ما يأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فيه مصلحتهم وذلك لأن الأجر لا يطلب إلا عند فعل شىء يفيد المطلوب منه الأجر فقال : أنت أتيتهم بما لو طلبت عليه أجراً وعلموا كمال ما فى دعوتك من المنفعة لهم وبهم ، لأتوك بجميع أموالهم وافدوك بأنفسهم ، ومع هذا لا تطلب منهم أجراً ، ولو قال شيئاً أو مالا لما حصلت هذه الفائدة والله أعلم .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ هذا يدل على أنه لم يطلب منهم أجراً ما ، وقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) يدل على أنه طلب أجراً ما فكيف الجمع بينهما ؟ نقول لا تفرقة بينهما بل الكل حق وكلاهما ككلام واحد ، وبيانه هو أن المراد من قوله (إلا المودة فى القربى) هو أنى لا أسألكم عليه أجراً يعود إلى الدنيا ، وإنما أجرى المحبة فى الزلفى إلى الله تعالى ، وأن عباد الله الكاملين أقرب إلى الله تعالى من عباده الناقصين ، وعباد الله الذين كلمهم الله وكلموه وأرسلهم لتكميل عباده فكملوا أقرب إلى الله من الذين [لم يكلمهم و] لم يرسلهم الله ولم يكملوا وعلى هذا فهو فى معنى قوله (إن أجرى إلا على الله) وإليه أنتمى وقوله ﷺ « فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة » وقوله (فهم

أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾

من مغرم مثقلون) وبين ماذكرنا أن قوله (أم تسألهم أجراً) المراد أجر الدنيا وقوله (قل لا أسألكم عليه أجراً) المراد العموم ثم استثنى ، ولا حاجة إلى ماقاله الواحدى إن ذلك منقطع معناه لكن المودة فى القربى ، وقد ذكرناه هناك فليطلب منه .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قوله تعالى (فهم من مغرم مثقلون) إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم ماطلب منهم شيئاً ولو طالبهم بأجر ماكان لهم أن يتركوا اتباعه بأدنى شىء ، اللهم إلا إن أثقلهم التكليف ويأخذ كل ما لهم ويمنعهم التخليف فيثقلهم الدين بعد مالا يبقى لهم العين .

قوله تعالى : ﴿ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴾ وهو على الترتيب الذى ذكرناه كأنه تعالى قال لهم : بم اطرحتم الشرع ومحاسنه ، وقلتم ماقلتم بناء على اتباعكم الأوهام الفاسدة التى تسمونها المعقولات ، والنبى ﷺ لايطلب منكم أجراً وأنتم لاتعلمون فلا عذر لكم لأن العذر إما فى الغرامة وإما فى عدم الحاجة إلى ماجاء به ولا غرامة عليكم فيه ولا غنى لكم عنه وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ كيف التقدير ؟ قلنا لاحاجة إلى التقدير بل هو استفهام متوسط على ماذكرنا كأنه قال أنهديهم لوجه الله تعالى أم تسألهم أجراً فيمتنعون أم لا حاجة لهم إلى ما تقول لكنهم عندهم الغيب فلا يتبعون .

﴿ المسألة الثانية ﴾ الألف واللام فى الغيب لتعريف ماذا ، الجنس أو لعهد ؟ نقول الظاهر أن المراد نوع الغيب كما يقول القائل اشترى اللحم يريد بيان الحقيقة لأكل لحم ولا لحماً معيناً ، والمراد فى قوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) الجنس واستغراقه لكل غيب .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ على هذا كيف يصح عندهم الغيب وما عند الشخص لايكون غيباً ؟ نقول معناه حضر عندهم ماغاب عن غيرهم ، وقيل هذا متعلق بقوله (نتربص به ريب المنون) أى أعندكم الغيب تعلمون أنه يموت قبلكم وهو ضعيف ، لبعد ذلك ذكر ، أو لأن قوله تعالى (قل تربصوا) متصل به وذلك يمنع اتصال هذا بذلك .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ماالفائدة فى قوله (فهم يكتبون) ؟ نقول وضوح الأمر ، وإشارة إلى أن ماعند النبى ﷺ من علم الغيب علم بالوحى أموراً وأسراراً وأحكاماً وأخباراً كثيرة كلها هو جازم بها وليس كما يقول المتفرس ، الأمر كذا وكذ ، فإن قيل اكتب به خطك أنه يكون يمتنع ويقول أنا لا أدعى فيه الجزم والقطع ولكن أذكره كذا وكذا على سبيل الظن والاستنباط وإن كان قاطعاً يقول اكتبوا هذا عنى ، وأثبتوا فى الدواوين أن فى اليوم الفلانى يقع كذا وكذا فقوله (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) يعنى هل صاروا فى درجة محمد ﷺ حتى استغنوا عنه

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾

وأعرضوا ، ونقل عن ابن قتيبة أن المراد من الكتابة الحكم معناه يحكمون وتمسك بقوله ﷺ «واقض بيننا بكتاب الله» أي حكم الله وليس المراد ذلك ، بل هو من باب الإضمار معناه بما في كتاب الله تعالى يقال فلان يقضي بمذهب الشافعي أي بما فيه ، ويقول الرسول الذي معه كتاب الملك للرعية اعملوا بكتاب الملك .

قوله تعالى : ﴿أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون﴾ وفيه مسائل :

﴿المسألة الأولى﴾ ما وجه التعلق والمناسبة بين الكلامين ؟ قلنا يبين ذلك ببيان المراد من قوله (أم يريدون كيداً) فبعض المفسرين قال أم يريدون أن يكيدوك فهم المكيدون ، أي لا يقدرون على الكيد فإن الله يصونك بعينه وينصرك بصونه ، وعلى هذا إذا قلنا بقول من يقول (أم عندهم الغيب) متصل بقوله تعالى (نتربص به ريب المنون) فيه ترتيب في غاية الحسن وهو أنهم لما قالوا (نتربص به ريب المنون) قيل لهم أتعلمون الغيب فتعلمون أنه يموت قبلكم أم تريدون كيداً فتقولون نقتله فيموت قبلنا فإن كنتم تدعون الغيب فأنتم كاذبون ، وإن كنتم تظنون أنكم تقدرون عليه فأنتم غالطون فإن الله يصونه عنكم وينصره عليكم ، وأما على ما قلنا أن المراد منه أنه ﷺ لا يسألكم على الهداية مالا وأنتم لا تعلمون ماجاء به لولا هدايته لكونه من الغيوب ، فنقول فيه وجوه (الأول) أن المراد من قوله تعالى (أم يريدون كيداً) أي من الشيطان وإزاغته فيحصل مرادهم كأنه تعالى قال أنت لا تسألهم أجراً وهم يعلمون الغيب فهم محتاجون إليك وأعرضوا فقد اختاروا كيد الشيطان ورضوا بإزاغته ، والإرادة بمعنى الاختيار والمحبة ، كما قال تعالى (ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) وكما قال (أئفكا آلهة دون الله تريدون) وأظهر من ذلك قوله تعالى (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) (الوجه الثاني) أن يقال أن المراد والله أعلم أم يريدون كيداً لله فهو واصل إليهم وهم عن قريب مكيدون ، وترتيب الكلام هو أنهم لما لم يبق حجة في الإعراض فهم يريدون نزول العذاب بهم والله أرسل إليهم رسولا لا يسألهم أجراً ويهديهم إلى مالا علم لهم ولا كتاب عندهم وهم يعرضون ، فهم يريدون إذاً أن يهلكهم ويكيدهم ، لأن الاستدراج كيد والإملاء لازدياد الإثم ، كذلك لا يقال هو فاسد لأن الكيد والإساءة لا يطاق على فعل الله تعالى إلا بطريق المقابلة ، وكذلك المكر فلا يقال أساء الله إلى الكفار ولا اعتدى الله إلا إذا ذكر أولا فيهم شيء من ذلك ، ثم قال بعد ذلك بسببه لفظاً في حق الله تعالى كما في قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) وقال (ومكروا ومكر الله) وقال (يكيدون كيداً وأكيد كيداً) لأنا نقول الكيد ما يسوء من نزل به وإن حسن ممن وجد منه ، ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام قال (لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) من غير مقابلة .

أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾

﴿ المسألة الثانية ﴾ ما الفائدة فى قوله تعالى (فالذين كفروا هم المكيدون) ؟ وما الفرق بين معنى هذا الكلام ومعنى قول القائل : أم يريدون كيداً فهم المكيدون ؟ نقول الفائدة كون الكافر مكيداً فى مقابلة كفره لا فى مقابلة إرادته الكيد ولو قال : أم يريدون كيداً فهم المكيدون ، كان يفهم منه أنهم إن لم يريدوه لا يكونوا مكيدين ، وهذا يؤيد ما ذكرناه أن المراد من الكيد كيد الشيطان أو كيد الله ، بمعنى عذابه إياهم لأن قوله (فالذين كفروا هم المكيدون) عام فى كل كافر كاده الشيطان ويكيده الله أى يعذبه ، وصار المعنى على ماذكرناه أتهديهم لوجه الله أم تسألهم أجراً فتثقلهم فيمتنعون عن الاتباع ، أم عندهم الغيب فلا يحتاجون إليك فيعرضون عنك ، أم ليس شىء من هذين الأمرين الأخيرين فيريدون العذاب ، والعذاب غير مدفوع عنهم بوجه من الوجوه لكفرهم فالذين كفروا معذبون .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ما الفائدة فى تنكير الكيد حيث لم يقل أم يريدون كيدك أو الكيد أو غير ذلك ليزول الإبهام ؟ نقول فيه فائدة ، وهى الإشارة إلى وقوع العذاب من حيث لا يشعرون فكأنه قال يأتيهم بغتة ولا يكون لهم به علم أو يكون إيراداً لعظمته كما ذكرنا مراراً .

قوله تعالى : ﴿ أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون ﴾ أعاد التوحيد وهو يفيد فائدة قوله تعالى (أم له البنات ولكم البنون) وفى سبحان الله بحث شريف : وهو أهل اللغة قالوا : سبحان اسم علم للتسبيح ، وقد ذكرنا ذلك فى تفسير قوله تعالى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) وأكثرنا من الفوائد ، فإن قيل يجوز أن نقول سبحان الله اسم مصدر ، ونقول سبحان على وزن فعلان فنذكر سبحان فى غير مواضع الإيقاع لله كما يقال فى التسبيح ، نقول ذلك مثل قول القائل من حرف جار وفى كلمة ظرف حيث يخبر عنه مع أن الحرف لا يخبر عنه فيجاب بأن من وفى حينئذ جعلا كالإسم ولم يتركا على أصلهما المستعمل فى مثل قولك أخذت من زيد والدرهم فى الكيس ، فكذلك سبحان فيما ذكر من المواضع لم يترك على مواضع استعماله فإنه حينئذ لم يترك علماً كما يقال زيد على وزن فعل بخلاف التسبيح فيما ذكرنا .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ما فى قوله تعالى (عما يشركون يحتمل وجهين (أحدهما) أن تكون مصدرية معناه سبحانه عن إشراكهم (ثانيهما) خبرية معناه عن الذين يشركون ، وعلى هذا فيحتمل أن يكون عن الولد لأنهم كانوا يقولون البنات لله فقال سبحان الله على البنات والبنين ، ويحتمل أن يكون عن مثل الآلهة لأنهم كانوا يقولون هو مثل ما يعبدونه فقال سبحان الله عن مثل ما يعبدونه .

قوله تعالى : ﴿ وإن يرو كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم ﴾ .

وجه الترتيب فيه هو أنه تعالى لما بين فساد أقوالهم وسقوطها عن درجة الاعتبار أشار إلى أنه لم يبق لهم شيء من وجه الاعتذار ، فان الآيات ظهرت والحجج تميزت ولم يؤمنوا ، وبعد ذلك (يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب) أى ينكرون الآية لكن الآية إذا أظهرت فى أظهر الأشياء كانت أظهر ، وبيانه هو أن من يأتى بجسم من الأجسام من بيته وادعى فيه أنه فعل به كذا فربما يخطر ببال السامع أنه فى بيته ولما يبدعه ، فاذا قال للناس هاتوا جسما تريدون حتى أجعل لكم منه كذا يزول ذلك الوهم ، لكن أظهر الأشياء عند الإنسان الأرض التى هى مهده وفرشه ، والسماء التى هى سقفه وعرشه ، وكانت العرب على مذهب الفلاسفة فى أصل المذهب ، ولا يلتفت إلى قول الفلسفى نحن ننزه غاية التنزيه حتى لا نجوز رؤيته واتصافه بوصف زائد على ذاته ليكون واحداً فى الحقيقة ، فكيف يكون مذهبنا مذهب من يشرك بالله صنما منحوتاً ؟ نقول أنتم لما نسبتم الحوادث إلى الكواكب وشرعتم فى دعوة الكواكب أخذ الجهال عنكم ذلك واتخذوه مذهباً وإذا ثبت أن العرب فى الجاهلية كانت فى الأصل على مذهب الفلاسفة وهم يقولون بالطبائع فيقولون الأرض طبعها التكوين والسماء طبعها يمنع الانفصال والانفكاك ، فقال الله تعالى رداً عليهم فى مواضع (إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء) إبطالا للطبائع وإيثاراً للاختيار فى الوقائع ، فقال ههنا إن أتينا بشيء غريب فى غاية الغرابة فى أظهر الأشياء وهو السماء التى يرونها أبداً ويعلمون أن أحد لا يصل إليها ليعمل بالأدوية وغيرها ما يجب سقوطها لأنكروا ذلك ، فكيف فيما دون ذلك من الأمور ، والذى يؤيد ماذكرناه وأنهم كانوا على مذهب الفلاسفة فى أمر السماء أنهم قالوا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً) أى ذلك فى زعمك ممكن ، فأما عندنا فلا ، والكسفة القطعة يقال كسفة من ثوب أى قطعة ، وفيه مباحث :

﴿ البحث الأول ﴾ استعمل فى السماء لفظة الكسف ، واللغويون ذكروا استعمالها فى الثوب لأن الله تعالى شبه السماء بالثوب المنشور ، ولهذا ذكره فيما مضى فقال (والسموات مطويات) وقال تعالى (يوم نطوى السماء) .

﴿ البحث الثانى ﴾ استعمل الكسف فى السماء والخسف فى الأرض فقال تعالى (نخسف بهم الأرض) وهو يدل على قول من قال يقال فى القمر خسوف وفى الشمس كسوف ووجهه أن مخرج الخاء دون مخرج الكاف ومخرج الكاف فوقه متصل به فاستعمل وصف الأسفل للأسفل والأعلا للأعلى ، فقالوا فى الشمس والسماء الكسوف والكسف ، وفى القمر والأرض الخسوف والخسف ، وهذا من قبيل قولهم فى الماتح والمايح إن ما نقطه فوق لمن فوق البئر وما نقطه من أسفل عند من يجوز نقطه من أسفل لمن تحت فى أسفل البئر .

﴿ البحث الثالث ﴾ قال فى السحاب وتجعله كسفاً مع أنه تحت القمر ، وقال فى القمر (وخسف القمر) وذلك لأن القمر عند الخسوف له نظير فوقه وهو الشمس عند الكسوف والسحاب

فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾

اعتبر فيه نسبته إلى أهل الأرض حيث ينظرون إليه ، فلم يقل فى القمر خسف بالنسبة إلى السحاب وإنما قيل ذلك بالنسبة إلى الشمس وفى السحاب قيل بالنسبة إلى الأرض .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ساقطا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون مفعولا ثانياً يقال رأيت زيداً عالماً (وثانيهما) أن يكون حالا كما يقال ضربته قائما ، والثانى أولا لأن الرؤية عند التعدى إلى مفعولين فى أكثر الأمر تكون بمعنى العلم ، تقول أرى هذا المذهب صحيحاً وهذا الوجه ظاهراً وعند التعدى إلى واحد تكون بمعنى رأى العين فى الأكثر تقول رأيت زيداً . وقال تعالى (لما رأوا بأسنا) ، وقال (فإما ترين من البشر أحداً) والمراد فى الآية رؤية العين .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ فى قوله (ساقطا) فائدة لا تحصل فى غير السقوط ، وذلك لأن عندهم لا يجوز الانفصال على السموات ولا يمكن نزولها وهبوطها ، فقال ساقطاً ليكون مخالفاً لما يعتقدونه من وجهين (أحدهما) الانفصال (والآخر) السقوط ولو قال وإن يروا كسفاً منفصلا أو معلقاً لما حصلت هذه الفائدة .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ فى قوله (يقولوا) فائدة أخرى ، وذلك لأنه يفيد بيان العناد الذى هو مقصود سرد الآية ، وذلك لأنهم فى ذلك الوقت يستخرجون وجوهاً حتى لا يلزمهم التسليم فيقولون سحاب قولا من غير عقيدة ، وعلى هذا يحتمل أن يقال (وإن يروا) المراد العلم ليكون أدخل فى العناد ، أى إذا علموا وتيقنوا أن السماء ساقطة غيروا وعاندوا ، وقالوا هذا سحاب مركوم .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ قوله تعالى (يقولوا سحاب مركوم) إشارة إلى أنهم حين يعجزون عن التكذيب ولا يمكنهم أن يقولوا لم يقع شىء على الأرض يرجعون إلى التأويل والتخييل وقوله (مركوم) أى مركب بعضه على بعض كأنهم يدفعون عن أنفسهم مايورد عليهم بأن السحاب كالهواء لايمنع نفوذ الجسم فيه ، وهذا أقوى مانع فيقولون إنه ركام فصار صلباً قوياً .

﴿ المسألة السادسة ﴾ فى إسقاط كلمة الإشارة حيث لم يقل : يقولوا هذا ، إشارة إلى وضوح الأمر وظهور العناد فلا يستحسنون أن يأتوا بما لا يبقى معه مراء فيقولون (سحاب مركوم) مع حذف المبتدأ ليبقى للقائل فيه مجال فيقول عند تكذيب الخلق إياهم ، قلنا (سحاب مركوم) شبهه ومثله ، وأن يتمشى الأمر مع عوامهم استمروا ، وهذا مجال من يخاف من كلام ولا يعلم أنه يقبل منه أو لا يقبل ، فيجعله ذا وجهين ، فإن رأى النكر على أحدهما فسره بالآخر وإن رأى القبول خرج بمراده .

قوله تعالى : ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ﴾ أى إذا تبين أنهم لا يرجعون فدعهم حتى يلاقوا وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ (فذرهم) أمر وكان يجب أن يقال لم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم جواز دعائهم إلى الإسلام وليس كذلك ، والجواب عنه من وجوه (أحدها) أن هذه الآيات مثل قوله تعالى (فأعرض ، وتول عنهم) إلى غير ذلك كلها منسوخة بآية القتال وهو ضعيف ، (ثانيها) ليس المراد الأمر وإنما المراد التهديد كما يقول سيد العبد الجاني لمن ينصحه دعه فانه سينال وبال جنايته (ثالثها) أن المراد من يعاند وهو غير معين والنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الخلق على سبيل العموم ويجوز أن يكون المراد بالخطاب من لم يظهر عناده لا من ظهر عناده فلم يقل الله فى حقه (فذرهم) ويدل على هذا أنه تعالى قال من قبل (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) وقال ههنا (فذرهم) فمن يذكرهم هم المشفقون الذين قالوا (إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) ومن يذرهم الذين قالوا (شاعر نتربص به ريب المنون) إلى غير ذلك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ حتى للغاية فيكون كأنه تعالى قال : ذرهم إلى ذلك اليوم ولا تكلمهم ثم ذلك اليوم تجدد الكلام وتقول ألم أقل لكم إن الساعة آتية وإن الحساب يقوم والعذاب يدوم فلا تكلمهم إلى ذلك اليوم ثم كلمهم لتعلمهم (ثانيها) أن المراد من حتى الغاية التي يستعمل فيها اللام كما يقول القائل لا تطعمه حتى يموت أى ليموت ، لأن اللام التى للغرض عندها ينتهى الفعل الذى للغرض فيوجد فيها معنى الغاية ومعنى التعليل ويجوز استعمال الكلمتين فيها ولعل المراد من قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) هذا أى إلى أن يأتيك اليقين ، فان قيل فمن لا يذره أيضاً يلاقى ذلك اليوم ، نقول المراد من قوله (يصعقون) يهلكون فالمذكر المشفق لا يهلك ويكون مستثنى منهم كما قال تعالى (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) وقد ذكرنا هناك أن من اعترف بالحق وعلم أن يوم الحساب كائن فإذا وقعت الصيحة يكون كمن يعلم أن الرعد يرعد ويستعد لسماعه ، ومن لا يعلم يكون كالغافل ، فإذا وقعت الصيحة ارتجف الغافل ولم يرتجف العالم ، وحينئذ يكون التوعد بملاقاة يومهم لأن كل أحد يلاقى يومه وإنما يكون بملاقاة يومهم الذى فيه يصعقون ، أى اليوم الموصوف بهذه الصفة ، وهذا كما قال تعالى (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم) فإن المنفى ليس النبذ بالعراء لأنه تحقق بدليل قوله تعالى (فنبذناه بالعراء وهو سقيم) وإنما المنفى النبذ الذى يكون معه مذموماً وهذا لم يوجد .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ حتى ينصب ما بعدها من الفعل المستقبل تارة ويرفع أخرى والفاصل بينهما أن الفعل إذا كان مستقبلا منتظراً لا يقع فى الحال ينصب تقول تعلمت القرآن حتى ترتفع درجتى فإنك تنتظره وإن كان حالا يرفع تقول أكرر حتى تسقط قوتى ثم أنام ، والسبب فيه هو أن حتى المستقبل للغاية ولام التعليل للغرض والغرض غاية الفعل ، تقول لم تبنى الدار يقول للسكنى فصار قوله حتى ترفع كقوله لأرفع وفيهما إضمار أن ، فان قيل ما قلت شيئاً وما ذكرت السبب فى النصب عند إرادة الاستقبال والرفع عند إرادة الحال ، نقول الفعل المستقبل إذا كان منتظراً وكان

يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾

تصب العين ومنصوباً لدى الذهن يرقبه يفعل بلفظه ما كان فى معناه ، ولهذا قالوا فى الإضافة أن المضاف لما جر أمراً إلى أمر فى المعنى جزء فى اللفظ ، والذى يؤيد ما ذكرنا أن الفعل إنما ينصب بأن ولن وكى وإذن ، وخلوص الفعل للاستقبال فى هذه المواضع لازم والحرف الذى يحمل الفعل للحال يمنع النصب حيث لا يجوز أن تقول إن فلاناً ليضرب فان قيل : السين وسوف مع أنهما يخلصان الفعل للاستقبال لا ينصبان ويمنعان النصب بالناصب كما فى قوله تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى) نقول : سوف والسين ليسا بمعنى غير اختصاص الفعل بالاستقبال وأن ولن بمعنى لا يصح إلا فى الاستقبال لم يثبت بالسين إلا الاستقبال ولم يثبت به معنى فى الاستقبال والمنتظر هو ما فى الاستقبال لا نفس الاستقبال ، مثاله إذا قلت أعبد الله كى يغفر لى أو ليغفر لى أثبتت كى غرضاً وهو المغفرة ، وهى فى المستقبل من الزمان ، وإذا قلت : أستغفرك ربى أثبتت السين استقبال المغفرة ، وفرق بين ما يكون المقصود من الكلام بيان الاستقبال ، لكن الاستقبال لا يوجد إلا فى معنى فأتى بالمعنى ليبين به الاستقبال وبين ما يكون المقصود منه معنى فى المستقبل فتذكر الاستقبال لتبين محل مقصودك .

قوله تعالى : ﴿ يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون ﴾ .

لما قال (يلاقوا يومهم) وكل بر وفاجر يلاقى يومه أعاد صفة يومهم وذكر ما يتميز به يومهم عن يوم المؤمنين فقال (يوم لا يغنى) وهو يخالف يوم المؤمنين فانه تعالى قال فيه (يوم ينفع الصادقين) وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى يوم لا يغنى وجهان (الأول) بدل عن قوله (يومهم) (ثانيهما) ظرف يلاقوا أى يلاقو يومهم يوم ، فإن قيل هذا يلزم منه أن يكون اليوم فى يوم فيكون اليوم ظرف اليوم نقول هو على حد قول من يقول يأتى يوم قتل فلان يوم تبين جرائمه ولا مانع منه ، وقد ذكرنا بحث الزمان وجواز كونه ظرفاً فى قوله تعالى (يومئذ) وجواز إضافة اليوم إلى الزمان مع أنه زمان .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال تعالى (يوم لا يغنى عنهم كيدهم) ولم يقل يوم لا يغنيهم كيدهم مع أن الإغناء يتعدى بنفسه لفائدة جليلة وهى أن قول القائل أغنانى كذا يفهم منه أنه نفعنى ، وقوله أغنى عنى يفهم منه أنه دفع عنى الضرر وذلك لأن قوله أغنانى معناه فى الحقيقة أفادنى غير مستفيد وقوله : أغنى عنى ، أى لم يحوجنى إلى الحضور فأغنى غيرى عن حضورى يقول من يطلب لأمر : خذوا عنى ولدى ، فإنه يغنى عنى أى يغنيكم عنى فيدفع عنى أيضاً مشقة الحضور فقوله (لا يغنى عنهم) أى لا يدفع عنهم الضرر ، ولا شك أن قوله لا يدفع عنهم ضرراً أبلغ من قوله لا ينفعهم نفعاً وإنما فى المؤمن لو قال يوم يغنى عنهم صدقهم لما فهم منه نفعهم فقال (يوم ينفع) كأنه قال يوم يغنيهم

صدقهم ، فكأنه استعمل فى المؤمن يغنيهم وفى الكافر لا يغنى عنهم وهو مما لا يطلع عليه إلا من يكون عنده من علم البيان طرف ويتفكر بقريحة وقادة آيات الله ووفقه الله .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ الأصل تقديم الفاعل على المفعول والأصل تقديم المضمر على المظهر ، أما فى الأول فلأن الفاعل متصل بالفعل ولهذا قالوا فعلت فأسكنوا اللام لئلا يلزم أربع متحركات فى كلمة واحدة وقالوا ضربك ولم يسكنوا لأن الكاف ضمير المفعول وهو منفصل ، وأما تقديم المضمر فلأنه يكون أشد اختصاراً ، فإنك إذا قلت ضربنى زيد يكون أقرب إلى الاختصار من قولك ضرب زيد إياى فإن لم يكن هناك اختصار كقولك مربى زيد ومربى فالأولى تقديم الفاعل ، وههنا لو قال يوم لا يغنيهم كيدهم كان الأحسن تقديم المفعول ، فاذا قال يوم لا يغنى عنهم صار كما قلنا فى مر زيد بى فلم لم يقدم الفاعل ، نقول فيه فائدة مستفادة من علم البيان ، وهو أن تقديم الأهم أولى فلو قال يوم لا يغنى كيدهم كان السامع لهذا الكلام ربما يقول لا يغنى كيدهم غيرهم فيرجو الخير فى حقهم وإذا سمع لا يغنى عنهم انقطع رجاؤه وانتظر الأمر الذى ليس بمغن .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قد ذكرنا أن معنى الكيد هو فعل يسوء من نزل به وإن حسن ممن صدر منه ، فما الفائدة فى تخصيص العمل الذى يسوء بالذكر ولم يقل يوم لا يغنى عنهم أفعالهم على الإطلاق ؟ نقول هو قياس بالطريق الأولى لأنهم كانوا يأتون بفعل النبى ﷺ والمؤمنين وكانوا يعتقدون أنه أحسن أعمالهم فقال ما أغنى أحسن أعمالهم الذى كانوا يعتقدون فيه ليقطع رجاءهم عما دونه ، وفيه وجه آخر وهو أنه تعالى لما قال من قبل (أم يريدون كيداً) وقد قلنا إن أكثر المفسرين على أن المراد به تدبيرهم فى قتل النبى ﷺ قال (هم المكيدون) أى لا ينفعهم كيدهم فى الدنيا فاذا يفعلون يوم لا ينفعهم ذلك الكيد بل يضرهم وقوله (ولا هم ينصرون) فيه وجوه (أحدها) أنه متمم بيان وجهه هو أن الداعى أولا يرتب أموراً لدفع المكروه بحيث لا يحتاج إلى الانتصار بالغير والمنة ثم إذا لم ينفعه ذلك ينتصر بالأغيار ، فقال لا ينفعهم أفعال أنفسهم ولا ينصرهم عند اليأس وحصول اليأس عن إقبالهم (ثانيها) أن المراد منه ما هو المراد من قوله تعالى (لا تغن عنى شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون) ، فقوله (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً) أى عبادتهم الأصنام ، وقولهم (هؤلاء شفعاؤنا) وقولهم (ما نعبدهم إلا ليقربونا) وقوله (ولا هم ينصرون) ، أى لا نصير لهم كما لا شفيع ، ودفع العذاب ، إما بشفاعة شفيع أو بنصر ناصر (ثالثها) أن نقول الإضافة فى كيدهم إضافة المصدر إلى المفعول ، لا إضافته إلى الفاعل ، فكأنه قال لا يغنى عنهم كيد الشيطان إياهم ، وبيانه هو أنك تقول أعجبنى ضرب زيداً عمراً ، وأعجبنى ضرب عمرو ، فإذا اقتصرت على المصدر والمضاف إليه لا يعلم إلا بالقرينة والنية ، فإذا سمعت قول القائل ، أعجبنى ضرب زيد يحتمل أن يكون زيد ضارباً ويحتمل أن يكون مضروباً فإذا سمعت قول القائل ، أعجبنى قطع اللص على سرقته دلت القرينة على أنه مضاف إلى المفعول ، فإن قيل هذا فاسد من حيث إنه إيضاح واضح

وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

لأن كيد المكيد لا ينفع قطعا ، ولا يخفى على أحد ، فلا يحتاج إلى بيان ، لكن كيد الكائد يظن أنه ينفع فقال تعالى : ذلك لا ينفع ، نقول كيد الشيطان إياهم على عبادة الأصنام وهم كانوا يظنون أنها تنفع ، وأما كيدهم النبي ﷺ كانوا يعلمون أنه لا ينفع فى الآخرة وإنما طلبوا أن ينفعهم فى الدنيا لا فى الآخرة فالإشكال ينقلب على صاحب الوجه الأول ولا إشكال على الوجهين جميعاً إذا تفكرت فيما قلناه .

قوله تعالى : ﴿ وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ فى اتصال الكلام وجهان (أحدهما) متصل بقوله تعالى (فذرهم) وذلك لأنه يدل على عدم جواز القتال ، وقد قيل إنه نازل قبل شرع القتال ، وحينئذ كأنه قال فذرهم ولا تذرهم مطلقاً من غير قتال ، بل لهم قبل يوم القيامة عذاب يوم بدر حيث تؤمر بقتالهم ، فيكون بياناً وعداً ينسخ فذرهم بالعذاب يوم بدر (ثانيهما) هو متصل بقوله تعالى (لا يغنى) وذلك لأنه لما بين أن كيدهم لا يغنى عنهم قال ولا يقتصر على عدم الإغناء بل لهم مع أن كيدهم لا يغنى ويل آخر وهو العذاب المعد لهم ، ولو قال لا يغنى عنهم كيدهم كان يوهم أنه لا ينفع ولكن لا يضر ولما قال مع ذلك (وإن للذين ظلموا عذاباً) زال ذلك ، وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ الذين ظلموا هم أهل مكة إن قلنا العذاب هو عذاب يوم بدر ، وإن قلنا العذاب هو عذاب القبر فالذين ظلموا عام فى كل ظالم .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ما المراد من الظلم ههنا ؟ نقول فيه وجوه (الأول) هو كيدهم نبيهم ، و (الثانى) عبادتهم الأوثان ، و (الثالث) كفرهم وهذا مناسب للوجه الثانى .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ دون ذلك ، على قول أكثر المفسرين معناه قبل ويؤيده قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) ويحتمل وجهين آخرين (أحدهما) دون ذلك ، أى أقل من ذلك فى الدوام والشدة يقال الضرب دون القتل فى الإيلام ، ولا شك أن عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة على هذا المعنى ، وعلى هذا ففيه فائدة التنبيه على عذاب الآخرة العظيم وذلك لأنه إذا قال عذاباً دون ذلك أى قتلا وعذاباً فى القبر فيتفكر المتفكر ويقول ما يكون القتل دونه لا يكون إلا عظيما ، فإن قيل فهذا المعنى لا يمكن أن يقال فى قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) قلنا نسلم ذلك ولكن لا مانع من أن يكون المراد ههنا هذا الثانى على طريقة قول القائل : تحت لحاجك مفاسد ودون غرضك متاعب ، وبيانه هو أنهم لما عبدوا غير الله ظلموا أنفسهم حيث وضعوها فى غير موضعها الذى خلقت له فقيل لهم إن لكم دون ذلك الظلم عذاباً .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ذلك إشارة إلى ماذا ؟ نقول الظاهر إنه إشارة إلى اليوم وفيه وجهان

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾

آخران (أحدهما) فى قوله يصعقون ، وقوله (يغنى عنهم) إشارة إلى عذاب واقع فقوله ذلك إشارة إليه ، ويمكن أن يقال قد تقدم قوله (إن عذاب ربك لواقع) وقوله دون ذلك ، أى دون ذلك العذاب (ثانيهما) دون ذلك ، أى كيدهم فذاك إشارة إلى الكيد وقد بينا وجهه فى المثال الذى مثلنا وهو قول القائل : تحت لجاجك حرمانك ، والله علم .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذكرنا فيه وجوهاً (أحدها) أنه جرى على عادة العرب حيث تعبر عن الكل بالأكثر كما قال تعالى (أكثرهم بهم مؤمنون) ثم إن الله تعالى تكلم على تلك العادة ليعلم أن الله استحسنها من المتكلم حيث يكون ذلك بعيداً عن الخلف (ثانيها) منهم من آمن فلم يكن ممن لا يعلم (ثالثها) هم فى أكثر الأحوال لم يعلموا وفى بعض الأحوال علموا وأدله أنهم علموا حال الكشف وإن لم ينفعهم .

﴿ المسألة السادسة ﴾ مفعول لا يعلمون جاز أن يكون هو ماتقدم من الأمر : وهو أن لهم عذاباً دون ذلك ، وجاز أن لا يكون له مفعول أصلا ، فيكون المراد أكثرهم غافلون جاهلون .

قوله تعالى : ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ وقد ذكرناه فى تفسير قوله تعالى (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) ونشير إلى بعضه ههنا فإن طول العهد ينسى ، فنقول لما قال تعالى (فذرهم) كان فيه الإشارة إلى أنه لم يبق فى نصحهم نفع ولا سيما وقد تقدم قوله تعالى (وإن يروا كسفاً من السماء) وكان ذلك مما يحمل النبى صلى الله عليه وسلم على الدعا. كما قال نوح عليه السلام (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) وكما دعا يونس عليه السلام فقال تعالى (واصبر) وبدل اللعن بالتسبيح (وسبح بحمد ربك) بدل قولك اللهم أهلكهم ألا ترى إلى قوله تعالى (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت) وقوله تعالى (فإنك بأعيننا) فيه وجوه (الأول) أنه تعالى لما بين أنهم يكيدونه كان ذلك مما يقتضى فى العرف المبادرة إلى إهلاكهم لئلا يتم كيدهم فقال : اصبر ولا تخف ، فإنك محفوظ بأعيننا (ثانيها) أنه تعالى قال فاصبر ولا تدع عليهم فإنك بمرآى منا نراك وهذه الحالة تقتضى أن تكون على أفضل مايكون من الأحوال لكن كونك مسبحاً لنا أفضل من كونك داعياً على عباد خلقناهم ، فاختر الأفضل فإنك بمرآى منا (ثالثها) أن من يشكو حاله عند غيره يكون فيه إنباء عن عدم علم المشكو إليه بحال الشاكى فقال تعالى (اصبر) ولا تشك حالك فانك بأعيننا نراك فلا فائدة فى شكواك ، وفيه مسائل مختصة بهذا الموضع لا توجد فى قوله (فاصبر على مايقولون) .

﴿ المسألة الأولى ﴾ اللام فى قوله (واصبر لحكم) تحتمل وجوها : (الأول) هى بمعنى إلى أى اصبر إلى أن يحكم الله (الثانى) الصبر فيه معنى الثبات ، فكأنه يقول فاثبت لحكم ربك يقال

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

ثبت فلان لحمل قرنه (الثالث) هي اللام التي تستعمل بمعنى السبب يقال لم خرجت فيقال لحكم فلان علي بالخروج فقال (واصبر) واجعل سبب الصبر امتثال الأمر حيث قال واصبر لهذا الحكم عليك لا لشيء آخر .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قال ههنا (بأعيننا) وقال في مواضع آخر (ولتصنع على عيني) نقول لما وحد الضمير هناك وهو ياء المتكلم وحده وحد العين ولما ذكر ههنا ضمير الجمع في قوله (بأعيننا) وهو النون جمع العين ، وقال (بأعيننا) هذا من حيث اللفظ ، وأما من حيث المعنى فلأن الحفظ ههنا أتم لأن الصبر مطية الرحمة بالنبي ﷺ حيث اجتمع له الناس وجمعوا له مكايد وتشاوروا في أمره ، وكذلك أمره بالفلك وأمره بالاتخاذ عند عدم الماء وحفظه من الغرق مع كون كل البقاع مغمورة تحت الماء تحتاج إلى حفظ عظيم في نظر الخلق فقال بأعيننا .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ ماوجـــه تعلق الباء ههنا قلنا قد ظهر من جميع الوجوه ، أما إن قلنا بأنه للحفظ فتقديره محفوظ بأعيننا ، وإن قلنا للعلم فمعناه بمرأى منا أى بمكان نراك وتقديره فإنك بأعيننا مرئي وحينئذ هو كقول القائل رأيته بعيني كما يقال كتب بالقلم الآلة وإن كان رؤية الله ليست بآلة ، فإن قيل فما الفرق في الموضعين حيث قال في طه (على عيني) وقال ههنا (بأعيننا) وما الفرق بين على وبين الباء نقول معنى على هناك هو أنه يرى على مايرضاه الله تعالى ، كما يقول أفعله على عيني أى على رضاي تقديره على وجه يدخل في عيني وألتفت إليه فإن من يفعل شيئاً لغيره ولا يرتضيه لا ينظر فيه ولا يقلب عينه إليه والباء في قوله (وسبح بحمد ربك) قد ذكرناها وقوله (حين تقوم) فيه وجوه (الأول) تقوم من موضعك والمراد قبل القيام حين ما تعزم على القيام وحين مجيء القيام ، وقد ورد في الخبر أن من قال « سبحان الله » من قبل أن يقوم من مجلسه يكتب ذلك كفارة لما يكون قد صدر منه من اللفظ واللغوا في ذلك المجلس (الثاني) حين تقوم من النوم ، وقد ورد أيضاً فيه خبر يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان « يسبح بعد الانتباه » (الثالث) حين تقوم إلى الصلاة وقد ورد في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في افتتاح الصلاة « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » (الرابع) حين تقوم لأمر ما ولا سيما إذا قمت منتصباً لمجاهدة قومك ومعاداتهم والدعاء عليهم (فسبح بحمد ربك) وبدل قيامك للمعاداة وانتصابك للانتقام بقيامك لذكر الله وتسبيحه (الخامس) حين تقوم أى بالنهار ، فإن الليل محل السكون والنهار محل الابتغاء وهو بالقيام أولى ، ويكون كقوله (ومن الليل فسبحه) إشارة إلى مابقي من الزمان وكذلك (إدبار النجوم) وهو أول الصبح .

قوله تعالى : ﴿ ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ .

وقد تقدم تفسيره وهو كقوله تعالى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) وقد ذكرنا فائدة الاختصاص بهذه الأوقات ومعناه ، ونختم هذه السورة بفائدة وهى أنه تعالى قال ههنا (وإدبار النجوم) وقال فى قٓ (وإدبار السجود) ، ويحتمل أن يقال المعنى واحد والمراد من السجود جمع ساجد وللنجوم سجود قال تعالى (والنجم والشجر يسجدان) وقيل المراد من النجم نجوم السماء وقيل النجم مالا ساق له من النبات قال الله تعالى (ولله يسجد من فى السموات ومن فى الأرض) أو المراد من النجوم الوظائف وكل وظيفة نجم فى اللغة أى إذا فرغت من وظائف الصلاة فقل سبحان الله ، وقد ورد فى الحديث « من قال عقيب الصلاة سبحان الله عشر مرات والحمد لله عشر مرات والله أكبر عشر مرات كتب له ألف حسنة » فيكون المعنى فى الموضعين واحد لأن السجود من الوظائف والمشهور والظاهر أن المراد من (إدبار النجوم) وقت الصبح حيث يدبر النجم ويخفى ويذهب ضياؤه بضوء الشمس ، وحينئذ تبين ما ذكرنا من الوجه الخامس فى قوله حين تقوم أن المراد منه النهار لأنه محل القيام (ومن الليل) القدر الذى يكون الإنسان فى يقظان فيه (وإدبار النجوم) وقت الصبح فلا يخرج عن التسبيح إلا وقت النوم ، وهذا آخر تفسير هذه السورة والله أعلم ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

سورة «والطور»

مكية كلُّها في قول الجميع، وهي تسعٌ[1] وأربعون آية

روى الأئمة عن جُبير بن مُطْعِم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ بالطُّور في المغرب. متفق عليه[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ الطُّور اسمُ الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى[3]، أقسم الله به تشريفاً له وتكريماً وتذكيراً لِمَا فيه من الآيات، وهو أَحدُ جبال الجنة.

وروى إسماعيل بن إسحاق قال: حدّثنا إسماعيل بن أبي أويس، قال: حدَّثنا كثير بنُ عبد الله بنِ عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدِّه أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أربعةُ أجْبُلٍ من جبال الجنة، وأربعةُ أنهار من أنهار الجنة، وأربعة مَلَاحم من مَلَاحم الجنة» قيل: فما الأَجْبُل؟ قال: «جَبَلُ أُحُد يحبُّنا ونحبُّه، والطُّورُ جبلٌ من جبال الجنة، ولُبْنان جبلٌ من جبال الجنة، والجوديّ جبلٌ من جبال الجنة»[4]

(١) في النسخ الخطية: ثمان، وذكر هذا القول الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٢ بصيغة التضعيف، والمثبت من (م) وهو الموافق لما في التفاسير.

(٢) صحيح البخاري (٧٦٥)، وصحيح مسلم (٤٦٣)، وهو عند أحمد (١٦٧٣٥).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٦١، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٦، والكشاف ٤/ ٢٢.

(٤) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ١/ ٨٠ - ٨١، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٠٨٠، والطبراني في الكبير ١٧/ ١٨ (١٩) من طريق كثير بن عبد الله، به. ولم يذكر ابن عدي والطبراني جبل الجودي، ووقع بدله عند ابن شبة: وَرْقَان، وإسناده ضعيف جداً. كثير بن عبد الله ضعفه ابن معين وأحمد =

وذكر الحديث، وقد استوفيناه في كتاب «التذكرة»[١].

قال مجاهد: الطُّور هو بالسريانية: الجبلُ[٢]، والمراد به طور سِيناء. وقاله السُّدِّي[٣]. وقال مقاتل بن حيَّان: هما طوران؛ يقال لأحدهما: طُورُ سِيناء، والآخر طورُ زيتا[٤]؛ لأنَّهما يُنبِتان التين والزيتون[٥]. وقيل: هو جبل بمَدْيَن، واسمه: زَبير.[٦] قال الجوهريُّ: والزَّبير: الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام[٧].

قلت: ومدينُ بالأرض المقدَّسة، وهي قرية شعيبٍ عليه السلام.

وقيل: إن الطُّور كلُّ جبل أنبت، وما لا يُنبِت فليس بطور. قاله ابن عباس[٨]. وقد مضى في «البقرة» مستوفى[٩].

قوله تعالى: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ أي: مكتوب، يعني القرآنَ يقرؤه المؤمنون من المصاحف، ويقرؤه الملائكة من اللَّوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ .

= وأبو حاتم والنسائي، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن حبان: له عن أبيه عن جدّه نسخة موضوعة، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. اهـ. وأبوه عبد الله بن عمرو مجهول، فقد تفرد بالرواية عنه ابنه كثير. ميزان الاعتدال ٢/ ٤٦٧ و٣/ ٤٠٦-٤٠٧ .

(١) ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٢٣ ، وأورده الطبري ٢١/ ٥٦١ ، وحكى ابن عطية عن الطبري إيراده قول مجاهد، ثم تعقبه بقوله: وهذا ضعيف لأن ما حكاه في العربية يقضي على هذا، ولا خلاف أن في الشام جبلاً يسمى بالطور، وهو طور سيناء .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٧٧ .

(٤) طور زيتا : هو جبل بقرب رأس عين قنطرة الخابور ، على رأسه شجر زيتون ، يسقيه المطر ، ولذلك سمي طور زيتا . معجم البلدان ٤/ ٤٧ - ٤٨ .

(٥) قول مقاتل في المحرر الوجيز ٥/ ١٨٥ مختصر بلفظ : هما طوران .

(٦) مراح لبيد ٢/ ٣٢٧ ، وفي النكت والعيون عن مقاتل: يسمى هذا الطور زبير.

(٧) لم نقف عليه من كلامه، وذكره ابن الأثير في النهاية (زبر) دون نسبة. وأورده الزَّبيدي أيضاً في تاج العروس دون نسبة وقال: أجمع المفسرون على أن جبل المناجاة هو الطور.

(٨) النكت والعيون ٥/ ٣٧٦ .

(٩) ٢/ ١٦٤ .

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة:٧٨]. وقيل: يعني سائرَ الكتب المنزَّلة على الأنبياء.

وكان كلُّ كتاب في رَقٍّ ينشره أهله لقراءته. وقال الكلبي: هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى يسمع صَرِيرَ القلم[١]. وقال الفراء: هو صحائف الأعمال، فمِن آخذٍ كتابَه بيمينه، ومِن آخذٍ كتابَه بشماله[٢]، نظيره: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء:١٣]، وقولُه: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير:١٠]. وقيل: إنه الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته في السماء، يقرؤون فيه ما كان وما يكون[٣]. وقيل: المراد ما كتب الله في قلوب الأولياء من المؤمنين، بيانُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة:٢٢].

قلت: وفي هذا القول تَجوُّز؛ لأنه عبَّر بالقلوب عن الرَّق. قال المبرِّد: الرَّقُّ: ما رُقِّق من الجِلد ليُكتب فيه، والمنشور: المبسوط. وكذا قال الجوهري في الصحاح[٤]، قال: والرَّق ـ بالفتح ـ: ما يُكتب فيه وهو جلدٌ رقيق، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾. والرَّق أيضًا: العظيم من السَّلاحِف. قال أبو عبيد[٥]: وجمعه رُقُوق. والمعنى المراد ما قاله الفراء، والله أعلم. وكلُّ صحيفة فهي رَقٌّ لرِقّة حواشيها، ومنه قول المتلمّس:

فكأنَّما هي من تَقَادُمِ عَهْدِها رَقٌّ أُتيح كتابُها مَسطورُ[٦]

وأمَّا الرِّق: ـ بالكسر ـ فهو المِلْك[٧]، يقال: عبدٌ مرقوق. وحكى الماورديُّ[٨]

---

(١) أورده البغوي في تفسيره ٤/ ٢٣٦ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٩١ ، ونقله المصنف بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٧٧ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٧٧ .

(٤) مادة (رقق) .

(٥) في (د) و(م) : أبو عبيدة .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٧٧ .

(٧) الصحاح (رقق) .

(٨) في النكت والعيون ٥/ ٣٧٧ .

عن ابن عباس: أن الرَّق ـ بالفتح ـ ما بين المشرق والمغرب.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ قال عليٌّ وابن عباس وغيرهما: هو بيت في السماء حِيَال الكعبة، يدخله كلَّ يوم سبعون ألفَ ملَك، ثم يخرجون منه، فلا يعودون إليه[١]. قال عليٌّ ﷺ: هو بيت في السماء السادسة[٢]. وقيل: في السماء الرابعة[٣]. روى أنس بن مالك، عن مالك بن صَعْصَعة قال: قال رسول الله ﷺ: «أُتيَ بي إلى السماء الرابعة، فرُفِع لنا البيتُ المعمور، فإذا هو حِيالُ الكعبة، لو خَرَّ خَرَّ عليها، يدخله كلَّ يوم سبعون ألفَ مَلَك، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه» ذكره الماورديُّ[٤].

وحكى القشيريُّ عن ابن عباس: إنه في السماء الدنيا. وقال أبو بكر الأنباري: سأل ابن الكَوَّاء عليًّا ﷺ قال: فما البيت المعمور؟ قال: بيتٌ فوق سبع سماوات تحت العرش يقال له: الضُّراح[٥]. وكذا في «الصحاح»: والضُّراح ـ بالضم ـ بيت في السماء، وهو البيت المعمور عن ابن عباس[٦]. وعُمْرانه: كثرةُ غاشيته من الملائكة. وقال المهدويُّ عنه: حِذاء العرش.

والذي في صحيح مسلم، عن مالك بن صعصعة عن النبيِّ ﷺ في حديث الإسراء: «ثم رُفع لي[٧] البيتُ المعمور، فقلت: يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا البيت

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٨٢، والنكت والعيون ٥/ ٣٧٧، وأخرجه عنهما الطبري ٢١/ ٥٦٤.

(٢) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٦٣.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٨٢ وروى البخاري (٣٢٠٧) و(٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤) من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أنه في السماء السابعة.

(٤) في النكت والعيون ٥/ ٣٧٧، وفيه: السماء السابعة: بدل: السماء الرابعة، وهي رواية عن أنس كما ذكر الحافظ في الفتح ٦/ ٣٠٩، وقال: أكثر الروايات أنه في السماء السابعة.

(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٦٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١٧ وعزاه لابن الأنباري في المصاحف.

(٦) الصحاح (ضرح)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٩٩٧) عن ابن عباس بلفظ: إن في السماء بيتاً يقال له: الضراح، وهو فوق البيت العتيق من حياله ...

(٧) في (د) و(م): إليّ.

المعمور، يدخله كلَّ يوم سبعون ألفَ مَلَك، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»[١] وذكر الحديث.

وفي حديث ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أُتيت بالبُرَاق» الحديث، وفيه: «ثم عُرِج بنا إلى السماء[٢] السابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ. قيل: وقد بُعِث إليه؟ قال: قد بُعِث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيمَ عليه السلام مسنداً ظهرَه إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كلَّ يوم سبعون ألفَ مَلَك لا يعودون إليه»[٣].

وعن ابن عباس أيضاً قال: لله في السماوات والأرضين خمسةَ عشرَ بيتاً، سبعةٌ في السماوات، وسبعة في الأرضين، والكعبة، وكلُّها مقابلة للكعبة.

وقال الحسن: البيت المعمور هو الكعبة؛ البيت الحرام؛ الذي هو معمور من الناس، يعمره الله كلَّ سنة بستِّ مئة ألف، فإن عجز الناس عن ذلك أتمَّه الله بالملائكة، وهو أوّل بيت وضعه الله للعبادة في الأرض[٤].

وقال الربيع بن أنس: إنَّ البيت المعمور كان في الأرض موضعَ الكعبة في زمان آدم عليه السلام، فلمَّا كان زمانُ نوح عليه السلام أمرهم أن يحجُّوا، فأَبَوا عليه وعصَوه، فلمَّا طغى الماء، رُفِع، فجُعل بحِذائه في السماء الدنيا، فيَعمرُه كلَّ يوم سبعونَ ألفَ ملَك، ثم لا يرجعون إليه حتى يُنفخ في الصور، قال: فبوَّأ الله جلَّ وعزَّ لإبراهيمَ مكانَ البيت حيث كان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ

---

(١) صحيح مسلم (١٦٤): (٢٦٤)، وعلقه البخاري (٣٢٠٧) وهو عند أحمد (١٧٨٣٦). وينظر كلام الحافظ ابن حجر ٧/ ٢١٥ على رواية قتادة. وقوله: آخر ما عليهم؛ قال النووي في شرح صحيح مسلم ٢/ ٢٢٥: روي برفع الراء ونصبها، فالنصب على الظرف، والرفع على تقدير: ذلك آخر ما عليهم من دخوله، والرفع أوجه.

(٢) لفظة: السماء، ليست في (د) و(م).

(٣) أخرجه أحمد (١٢٥٠٥)، ومسلم (١٦٢): (٢٥٩) واللفظ له.

(٤) أورده الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٧٨ عنه بلفظ: البيت المعمور هو البيت الحرام.

أن لا تُشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾[1] [الحج: ٢٦].

﴿والسقف المرفوع﴾ يعني السماء؛ سمَّاها سقفاً؛ لأنها للأرض كالسقف للبيت، بيانه: ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾ [الأنبياء: ٣٢]. وقال ابن عباس: هو العرش، وهو سقف الجنة. ﴿والبحر المسجور﴾ قال مجاهد: المُوقَد[2]. وقد جاء في الخبر: «إن البحر يُسجَر يوم القيامة فيكون ناراً»[3]. وقال قتادة: المملوء[4]. وأنشد النَّحْويون للنَّمِر بن تَوْلَب:

إذا شاء طالعَ مَسْجُورةً تَرَى حَولَها النَّبْعَ والسَّاسَمَا[5]

يريد وَعْلًا يطالع عيناً مسجورة مملوءة.

فيجوز أن يكون المملوءُ ناراً، فيكون كالقول المتقدِّم. وكذا قال الضحاك وشِمْر ابن عطية ومحمد بن كعب والأخفش[6]: إنه[7] المَوْقِد المحميُّ بمنزلة التَّنُّور المسجور. ومنه قيل: لِلْمسْعَر: مِسْجَر، ودليل هذا التأويل قولُه تعالى: ﴿وإذا البحار سُجِّرت﴾ [التكوير: ٦] أي: أُوقِدت، سَجَرتُ التَّنُّور أسجُرُه سَجْراً، أي: أحميتُه[8].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٧٨.

(٢) تفسير مجاهد ٢/ ٦٢٤، وأخرجه الطبري ٢١/ ٥٦٨.

(٣) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأورد الواحدي في الوسيط ٤/ ١٨٥، والبغوي في تفسيره ٤/ ٢٣٧، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٢ - ٢٣ ـ واللفظ له ـ وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٨: «إن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها ناراً تسجر بها نار جهنم».

(٤) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٦٨.

(٥) أورده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٣٠، والطبري ٢١/ ٥٧٠، والبغدادي في الخزانة ١١/ ٩٥. قوله: النبع: هو شجر للقِسِيِّ وللسهام. والسَّاسَم: شجر يعمل منه القِسيّ. القاموس (نبع) و(سسم). وسلف عند تفسير الآية (٧٢) من سورة غافر.

(٦) أورد قول الضحاك ومحمد بن كعب البغوي في تفسيره ٤/ ٢٣٧، وقول شمر الطبري ٢١/ ٥٦٨، وقول الأخفش الطبرسي في مجمع البيان ٢٧/ ٢٧.

(٧) في (م): بأنه.

(٨) الصحاح (سجر).

وقال سعيد بن المسيِّب: قال عليٌّ ﷺ لرجل من اليهود: أين جهنم؟ قال: البحر. قال ما أراكَ إلا صادقاً. وتلا: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾، ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِرَتۡ﴾ [التكوير:٦] مخفَّفة[١]. وقال عبد الله بن عمرو: لا يُتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم[٢]. وقال كعب: يُسجَر البحر غداً فيُزاد في نار جهنم[٣]. فهذا قول.

وقال ابن عباس: المسجور الذي ذهب ماؤه. وقاله أبو العالية[٤]. وروى عطية وذو الرُّمَّة الشاعر عن ابن عباس قال: خرجت أَمَة لتستقيَ فقالت: إن الحوض مسجورٌ، أي: فارغ[٥]، قال ابن أبي داود: ليس لذي الرُّمَّة حديثٌ إلا هذا. وقيل: المسجور، أي: المفجور، دليله: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ [الانفطار:٣]، أي: تَنْشِفُها الأرض فلا يبقى فيها ماء.

وقول ثالث قاله عليٌّ ﷺ وعكرمة، قال أبو مَكين: سألت عكرمة عن البحر المسجور فقال: هو بحر دون العرش. وقال عليٌّ: تحت العرش؛ فيه ماء غليظ يقال[٦] له: بحر الحيوان يُمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً، فينبتون في قبورهم[٧]. وقال الربيع بن أنس: المسجور: المختلط العذب بالمِلْح[٨].

قلت: وإليه يرجع معنى «فُجِّرَتْ» في أحد التأويلين، أي: فُجِّرَ عذبُها في

---

(١) أخرجه الطبري ٢١/٥٦٨، وقرأ من السبعة: سُجِرت، بالتخفيف: ابن كثير وأبو عمرو. ينظر السبعة ص٦٧٣، والتيسير ص ٢٢٠.

(٢) سلف قول ابن عمرو في البحر: هو نار ١٥/ ٤٤٢ وهو عند الترمذي (٦٩).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٩٣٢)، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ٣٧٥ بنحوه.

(٤) أخرج قول ابن عباس الطبري ٢١/ ٥٦٩. وأورد قول أبي العالية البغوي في تفسيره ٤/ ٢٣٧، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٨.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١٨ عن ذي الرمة عن ابن عباس، وعزاه للشيرازي في الألقاب.

(٦) في (م): ويقال.

(٧) الوسيط ٤/ ١٨٥، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٧ بنحوه، وأخرجه الطبري ٢١/ ٥٧٠ عن علي بلفظ: (والبحر المسجور) قال: بحر في السماء تحت العرش. وأبو مكين: هو نوح بن ربيعة البصري، روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه. تهذيب الكمال.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٣٧، وزاد المسير ٨/ ٤٨.

مالحها، والله أعلم. وسيأتي[١]. وروى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المسجور: المحبوس[٢].

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ هذا جواب القسم، أي: واقع بالمشركين. قال جُبَير بن مُطْعِم: قدمت المدينة لأسأل رسول الله ﷺ في أُسارى بدر، فوافيتُه يقرأ في صلاة المغرب: «وَالطُّورِ» إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ . مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ فكأنما صُدع قلبي، فأسلمت خوفاً من نزول العذاب، وما كنت أظنُّ أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب[٣].

وقال هشام بن حسان: انطلقت أنا ومالكُ بن دينار إلى الحسن وعنده رجل يقرأ: «وَالطُّورِ» حتى بلغ: «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ، مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ»، فبكى الحسن وبكى أصحابه، فجعل مالك يضطرب حتى غُشِي عليه.

ولمَّا وُلِّي بكَّارٌ القضاء، جاء إليه رجلان يختصمان، فتوجهتْ على أحدهما اليمين، فرغب إلى الصُّلح بينهما، وأنه يُعطي خصمه من عنده عوضاً من يمينه، فأبى إلا اليمين، فأحلفه بأوّل «وَالطُّورِ» إلى أن قال[٤] له: قل: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ إن كنتُ كاذباً، فقالها، فخرج، فكُسِر من حينه.[٥]

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ العامل في «يوم» قولُه: «وَاقِعٌ»، أي: يقع

---

(١) عند تفسير الآية (٦) من سورة التكوير، والآية (٣) من سورة الانفطار.

(٢) أخرجه الطبري ٢١/٥٦٩ .

(٣) تفسير البغوي ٤/٢٣٧ والنكت والعيون ٥/٣٧٩ ، والكشاف ٤/٢٣ . وسلف في أول السورة مختصراً.

(٤) في (م) : قاله .

(٥) لم نقف على الخبرين ، وبكّار: هو ابن قتيبة، أبو بكرة، قاضي القضاة بمصر. توفي سنة (٢٧٠هـ) سير أعلام النبلاء ١٢/٥٩٩ .

العذاب بهم يوم القيامة، وهو اليوم الذي تمور فيه السماء[١]. قال أهل اللغة: مار الشيءُ يَمورُ مَوْرًا، أي: تحرَّك وجاء وذهب؛ كما تَتَكفَّأُ النخلةُ العَيْدانة، أي: الطويلة، والتموُّر مثله. وقال الضحاك: يموج بعضها في بعض. مجاهد: تدور دوراً[٢]. أبو عبيدة[٣] والأخفش: تَكَفَّأ، وأنشد للأعشى[٤]:

كأنَّ مِشْيَتَها من بيت جارتها مَوْرُ السَّحابة لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

وقيل: تجري جرياً، ومنه قول جرير:

وما زالتِ القَتْلَى تَمُورُ دماؤها بِدِجلَةَ حتَّى ماءُ دِجلةَ أَشْكَلُ[٥]

وقال ابن عباس: تمور السماء يومئذ بما فيها وتضطرب[٦]. وقيل: يدور أهلها فيها ويموج بعضهم في بعض.

والمَوْر أيضاً: الطريق. ومنه قول طَرَفة:

... فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ[٧]

والمَوْرُ: المَوْج. وناقةٌ مَوَّارة اليد، أي: سريعة. والبعير يمور عَضُداه: إذا تردَّدا في عَرْض جنبه، قال الشاعر:

على ظَهْرِ مَوَّارِ المِلَاطِ حِصَانِ

(١) ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٠ .

(٢) أخرج قول الضحاك ومجاهد الطبري ٢١/ ٥٧٢ - ٥٧٣ .

(٣) في مجاز القرآن ٢/ ٢٣١ .

(٤) في (ز) و(ظ) و(ف) : الأعشى ، والمثبت من (د) و(م)، وهو الموافق لما في الصحاح (مور) والكلام منه ، والبيت في ديوان الأعشى ص١٠٥ ، وفيه : مرُّ ، بدل : مور .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٧٩ ، والبيت في ديوان جرير ص ٣٦٧ ، والأشْكَل: ما فيه حمرة وبياض مختلط. القاموس (شكل).

(٦) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٧٢ بلفظ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ قال : يقول : تحريكاً .

(٧) ديوان طرفة ص ٢٢ ، والبيت بتمامه: تباري عِتاقاً ناجيات وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مَوْرٍ معبَّد. وسلف ١/ ٣٤١ .

المِلاط: الجَنْب. وقولهم: لا أدري أغارَ أم مَارَ[١]، أي: أتى غَوراً، أم دار فرجع إلى نجد. والمُور ـ بالضم ـ الغبار بالريح[٢].

وقيل: إن السماء هاهنا الفَلَك، ومورُه اضطرابُ نُظُمه، واختلافُ سيره. قاله ابن بحر[٣].

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ قال مقاتل: تسير عن أماكنها حتى تستويَ بالأرض. وقيل: تسير كسير السحاب اليوم في الدنيا، بيانه: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨]، وقد مضى هذا المعنى في «الكهف»[٤].

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ «وَيْلٌ»: كلمة تقال للهالك، وإنما دخلت الفاء لأن في الكلام معنى المجازاة[٥]. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أي: في تردُّد في الباطل، وهو خوضُهم في أمر محمد بالتكذيب. وقيل: في خوض في أسباب الدنيا يلعبون، لا يذكرون حساباً ولا جزاءً. وقد مضى في «براءة»[٦].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ «يَوْمَ» بدل من يومئذ[٧]. و«يُدَعُّونَ»: معناه يُدفعون إلى جهنم بشدَّة وعنف، يقال: دَعَعْتُه أدُعُّه دعًّا، أي: دفعته، ومنه قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾[٨] [الماعون:٢]. وفي التفسير: إن خزنة جهنم يَغلُّون أيديَهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيَهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم في النار دفعًا

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢٩٣ .

(٢) الصحاح (مور) و(ملط) .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٨٠ .

(٤) ١٣/ ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٥٤ .

(٦) ١٠/ ٢٩٦ .

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٥٤ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٠ .

(٨) الصحاح (دعع) .

على وجوههم، وزَخًّا[١] في أعناقهم حتى يرِدوا النار[٢]. وقرأ أبو رجاء العُطاردي وابن السَّمَيْفَع: «يَوْمَ يُدعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًا» بالتخفيف من الدعاء[٣]، فإذا دنَوْا من النار، قالت لهم الخزنة: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا[٤].

قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ استفهام معناه التوبيخ والتقريع، أي: يقال لهم: أَفَسِحْرٌ هَذَا الذي تَرَونَ الآن بأعينكم ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؟ وقيل: «أَمْ» بمعنى بل، أي: بل كنتم لا تبصرون في الدنيا ولا تعقلون.

قوله تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ أي: تقول لهم الخزنة: ذوقوا حرَّها بالدخول فيها. ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سواءٌ كان لكم فيها صبرٌ، أو لم يكن. فـ «سواء» [مبتدأ] خبرُه محذوف، أي: سواء عليكم الجزعُ والصبر[٥]، فلا ينفعكم شيء، كما أخبر عنهم أنهم يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١]. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ لمَّا ذكر حال الكفار؛ ذكر حال المؤمنين أيضًا. ﴿فَٰكِهِينَ﴾ أي: ذوي فاكهةٍ كثيرة، يقال: رجلٌ فاكِهٌ، أي: ذو

---

(١) في النسخ الخطية: وزجًا، والمثبت من (م)، ويقال: زخَّه في قفاه، أي: دفعه.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٣٨، والكشاف ٤/ ٢٣، ونسب هذا الكلام لمقاتل الواحدي في الوسيط ٤/ ١٨٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٩.

(٣) ذكرها عن أبي رجاء العطاردي ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٨٧، وذكرها الزمخشري ٤/ ٢٣ عن زيد بن علي. قال الألوسي في روح المعاني ٢٧/ ٣٠: وتكون «دعًّا» حال، أي: ينادون إليها مدعوعين.

(٤) الوسيط ٤/ ١٨٥، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٨، وزاد المسير ٨/ ٤٩.

(٥) ما بين حاصرتين للإيضاح، والكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٥٥. ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٦٢.

فاكهة، كما يقال: لابِنٌ وتامِرٌ، أي: ذو لبن وتمر[١]، قال:

وغَـرَرْتَـنِـي وزعـمـتَ أَنــ ـــكَ لابِـنٌ بـالـصَّـيْـفِ تَـامِـرْ[٢]

أي: ذو لبن وتمر.

وقرأ الحسن وغيره: «فَكِهينَ» بغير ألف[٣]، ومعناه: معجبين ناعمين في قول ابن عباس وغيره، يقال: فَكِه الرجلُ ـ بالكسر ـ فهو فَكِهٌ: إذا كان طيِّب النفس مزَّاحًا. والفَكِه أيضًا: الأشِر البطِر[٤]. وقد مضى في «الدخان»[٥] القولُ في هذا. ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ﴾ أي: أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ أي: يقال لهم ذلك. ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ الهنيء ما لا تنغيص فيه ولا نَكَد ولا كَدَر. قال الزجاج[٦]: أي: لِيَهْنِكم[٧] ما صِرتُم إليه هَنِيئًا. وقيل: أي: مُتِّعتم بنعيم الجنة إمتاعًا هنيئًا. وقيل: أي: كلوا واشربوا هُنِّئتُم هَنِيئاً. فهو صفة في موضع المصدر. وقيل: هنيئاً، أي: حلالاً. وقيل: لا أذًى فيه ولا غائلة. وقيل: هَنِيئًا، أي: لا تموتون، فإن ما لا يبقى ـ أو لا يبقى الإنسانُ معه ـ منغَّصٌ غيرُ هنيء.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ سُرُر جمع سرير، وفي الكلام حذف تقديره: متَّكِئين على نمارقَ على[٨] سُرُر. ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ قال ابن بحر[٩]: أي: موصولة بعضُها إلى بعض حتى تصير صفًّا. وفي الأخبار أنها تصفُّ في السماء بطول كذا وكذا، فإذا

(١) بنحوه في النكت والعيون ٥/ ٣٨٠.
(٢) البيت لحطيئة، وهو في ديوانه ص ١٦٨، وفيه: أغررتني، بدل: وغررتني.
(٣) وهي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع، وهو من العشرة. النشر ٢/ ٣٥٤
(٤) الصحاح (فكه).
(٥) ص١١٨ من هذا الجزء.
(٦) في معاني القرآن ٥/ ٦٣.
(٧) في (م): ليهنئكم.
(٨) لفظة: على، ليست في (م)، والكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢١/ ٥٧٨، وزاد المسير ٨/ ٥٠.
(٩) في (د) و(م): ابن الأعرابي، وقول ابن بحر في النكت والعيون ٥/ ٣٨١.

أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت له، فإذا جلس عليها عادت إلى حالها[(١)]. قال ابن عباس: هي سُرُر من ذهب، مكلَّلةٌ بالزَّبَرْجد والدُّر والياقوت[(٢)]، والسريرُ ما بين مكة وأيْلة[(٣)].

﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: قرنَّاهم بهنَّ. قال يونس بن حبيب: تقول العرب: زوجته امرأة وتزوَّجت امرأةً، وليس من كلام العرب: تزوَّجت بامرأة. قال: وقول الله عز وجل: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: قرنَّاهم بهنَّ[(٤)]، مِن قول الله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] أي: وقرناءهم. وقال الفرّاء: تزوَّجت بامرأة، لغةٌ في أَزْدِ شنوءة[(٥)]. وقد مضى القول في معنى الحور العين[(٦)].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ قرأ العامة: «وَاتَّبَعَتْهُمْ» بوصل الألف وتشديد التاء وفتح العين وإسكان التاء. وقرأ أبو عمرو: «وَأَتْبَعْنَاهُمْ» بقطع الألف وإسكان التاء والعين ونون، اعتباراً بقوله: «أَلْحَقْنَا بِهِمْ»؛ ليكون الكلام على نسق واحد.

---

(١) سيرد في تفسير سورة الواقعة الآية (١٦) من قول الكلبي.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٧٩، وزاد المسير ٩/ ٩٨، وتفسير الرازي ٣١/ ١٥٦.

(٣) لم نقف عليه. وأيلة: جبل بين مكة والمدينة قرب يَنْبُع. وأيلة أيضاً بلد بين ينبع ومصر. القاموس (أيل).

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ١١/ ١٥٢، ونسب هذا القول لابن السكيت.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ص١٣٧ من هذا الجزء وما بعدها.

فأمَّا قوله: «ذُرِّيَّتُهُمْ» الأولى، فقرأها بالجمع ابنُ عامر وأبو عمرو ويعقوبُ ورواها عن نافع، إلا أن أبا عمرو كسر التاء على المفعول، وضمَّ باقيهم. وقرأ الباقون: «ذُرِّيَّتُهُمْ» على التوحيد وضمِّ التاء، وهو المشهور عن نافع.

فأمَّا الثانية، فقرأها نافع وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بكسر التاء على الجمع. الباقون: «ذُرِّيَّتَهُمْ» على التوحيد وفتح التاء[1].

واختُلِف في معناه، فقيل عن ابن عباس أربعُ روايات: الأولى أنه قال: إن الله ليرفع ذرِّيَّة المؤمن معه في درجته في الجنة[2] وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقَرَّ بهم عينه، وتلا هذه الآية[3]. ورواه مرفوعًا النحاس في «الناسخ والمنسوخ» له عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة[4] وإن كان لم يبلغها بعمله؛ لتقرَّ بهم عينه» ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ الآية[5]. قال أبو جعفر[6]: فصار الحديث مرفوعًا عن النبيِّ ﷺ. وكذا يجب أن يكون؛ لأن ابن عباس لا يقول هذا إلا عن رسول الله ﷺ؛ لأنه إخبار عن الله عز وجل بما يفعله، وبمعنى أنه أنزلها جل ثناؤه. الزمخشري[7]: فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين،

---

(١) السبعة ص ٦١٢، والتيسير ص ٢٠٣، والنشر ٢/ ٢٧٣، ٣٧٧، ولم نقف على رواية الجمع عن نافع في اللفظة الأولى.

(٢) في النسخ الخطية: إن الله ليرفع ذريّة المؤمن إليه، والمثبت من (م) وهو الموافق للمصادر الآتية.

(٣) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٧٩، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٣/ ١٠٥، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٨٤٨).

(٤) قوله: في الجنة، من (ف) و(م).

(٥) الناسخ والمنسوخ (٨٤٩)، وأخرجه أيضاً الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٣/ ١٠٦ (١٠٧٥) كلاهما من طريق سفيان الثوري عن سماعة...، وهو منقطع، كما ذكر البخاري في التاريخ الكبير ٤/ ٢١٤.

(٦) في الناسخ والمنسوخ ٣/ ٣٨.

(٧) في الكشاف ٤/ ٢٤.

وبمؤانسة الإخوان المؤمنين، وباجتماعِ أولادهم ونسلهم بهم.

وعن ابن عباس أيضًا أنه قال: إن الله ليُلحِق بالمؤمن ذريَّته الصَّغار الذين لم يبلغوا الإيمان[١]. قاله المهدوي. والذريةُ تقع على الصغار والكبار، فإن جُعِلت الذرية ها هنا للصغار، كان قولُه تعالى: «بِإِيمَانٍ» في موضع الحال من المفعولين، وكان التقدير: بإيمانٍ من الآباء. وإن جُعِلت الذرية للكبار، كان قوله: بإيمانٍ، حالاً من الفاعلين[٢].

القول الثالث عن ابن عباس: أن المراد بالذين آمنوا المهاجرون والأنصار، والذريةِ التابعون.

وفي رواية عنه: إن كان الآباء أرفعَ درجةً؛ رفع الله الأبناء إلى الآباء، وإن كان الأبناء أرفعَ درجةً؛ رفع الله الآباء إلى الأبناء، فالآباء داخلون في اسم الذريَّة، كقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١].

وعن ابن عباس أيضًا يرفعه إلى النبيِّ ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، سأل أحدهم عن أبويه وعن زوجته وولده، فيقال لهم: إنهم لم يُدرِكوا ما أدركت، فيقول: يا ربِّ، إني عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به»[٣].

وقالت خديجة رضي الله عنها: سألتُ النبيَّ ﷺ عن ولدين لي ماتا في الجاهلية، فقال لي: «هما في النار»، فلمَّا رأى الكراهية في وجهي قال: «لو رأيتِ مكانَهما لأبغضتِهما». قالت: يا رسول الله، فولدِي منك؟ قال: «في الجنة»، ثم قال: «إن المؤمنين وأولادَهم في الجنة، والمشركين وأولادَهم في النار»، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ

(١) ينظر تفسير البغوي ٤/ ٢٣٩، وأخرجه الطبري ٢١/ ٥٨٠ - ٥٨١ بنحوه.

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٢٤٨)، قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١١٤: فيه محمد بن عبد الرحمن ابن غزوان وهو ضعيف.

ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ الآية[١].

﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: ما نقصنا الأبناء من ثواب أعمالهم لِقصَر أعمارهم، وما نقصنا الآباء من ثواب أعمالهم شيئاً بإلحاق الذُّرِّيَّات بهم. والهاء والميم راجعان إلى قوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا».

وقال ابن زيد: المعنى: واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ألحقنا بالذُّرِّيَّة أبناءَهم الصغارَ الذين لم يبلغوا العمل[٢]، فالهاء والميم على هذا القول للذُّرِّيَّة.

وقرأ ابن كثير: «وَمَا أَلِتْنَاهُمْ» بكسر اللام. وفتح الباقون[٣]. وعن أبي هريرة: «آلَتْنَاهُمْ» بالمدّ[٤]، قال ابن الأعرابي: أَلَتَه يأْلِته أَلْتًا، وآلَتَه يُؤْلته إيلاتًا، وَلَاتَه يَلِيته لَيْتًا، كلُّها إذا نَقَصه. وفي الصحاح: ولَاتَه عن وجهه يَلُوته ويَليته، أي: حبسه عن وجهه وصرفه، وكذلك ألاته عن وجهه، فَعَل وأَفْعل بمعنى، ويقال أيضاً: ما أَلَاته من عمله شيئًا، أي: ما نَقَصه، مثل أَلَته[٥]. وقد مضى في «الحجرات»[٦].

﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ قيل: يرجع إلى أهل النار[٧]. قال ابن عباس: ارتهن

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند (١١٣١)، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٣) من حديث علي ﷺ، وفيه محمد بن عثمان، قال الذهبي في الميزان ٣/ ٦٤٢: لا يُدرى من هو، فتشت عنه في أماكن، وله خبر منكر. اهـ. ثم ساق هذا الحديث من طريقه. وقال ابن الجوزي في جامع المسانيد - كما في كنز العمال ٢/ ٥١٢: في إسناده محمد بن عثمان لا يقبل حديثه، ولا يصح في تعذيب الأطفال حديث.

(٢) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٨١ بنحوه.

(٣) السبعة ص ٦١٢، والتيسير ص ٢٠٣.

(٤) في (ظ): ابن هرمز، ولقبه الأعرج، وقراءته في القراءات الشاذة ص ١٤٦، والمحتسب ٢/ ٢٩٠ ولم نقف على من نسبها لأبي هريرة، ولعله محرّف عن ابن هرمز، وقد نسب ابن الجوزي القراءة في زاد المسير ٨/ ٥١ لابن السميفع.

(٥) الصحاح (ليت).

(٦) ص ٤٢١ - ٤٢٢ من هذا الجزء.

(٧) ينظر زاد المسير ٨/ ٥١.

أهل جهنم بأعمالهم، وصار أهل الجنة إلى نعيمهم، ولهذا قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ [المدثر:٣٨-٣٩]. وقيل: هو عامٌّ لكلِّ إنسان مُرْتَهَن بعمله، فلا يُنقَص أحد من ثواب عمله، فأمَّا الزيادةُ على ثواب العمل فهي تفضُّلٌ من الله. ويحتمل أن يكون هذا في الذُّرِّيَّة الذين لم يؤمنوا، فلا يلحقون آباءهم المؤمنين، بل يكونون مُرْتَهنين بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: أكثرنا لهم من ذلك زيادةً من الله، أمدَّهم بها غيرَ الذي كان لهم.

قوله تعالى: ﴿يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتناولها بعضهم من بعض وهو المؤمن وزوجاتُه وخدمُه في الجنة. والكأس: إناءُ الخمر، وكلُّ إناء مملوء[1] من شراب وغيره، فإذا فرغ لم يسمَّ كأسًا. وشاهدُ التنازع والكأس في اللغة قولُ الأخطل:

وشارِبٍ مُرْبِحٍ بالكأس نادَمَني ... لا بالْحَصُور ولا فيها بسَوَّارِ

نازَعْتُه طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وقدْ ... صاحَ الدَّجاجُ وحانَتْ وَقْعَةُ السَّاري[2]

وقال امرؤ القيس:

فلمَّا تَنازَعْنَا الحديثَ وأَسْمَحَتْ ... هَصَرْتُ بغصنٍ ذي شَمَاريخَ مَيَّالِ[3]

وقد مضى هذا في «والصافات»[4].

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي: في الكأس، أي: لا يجري بينهم لغوٌ ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ ولا ما فيه

---

(١) في النكت والعيون ٥/ ٣٨٢ ـ والكلام منه ـ: والكأس إناء مملوء.

(٢) ديوان الأخطل ص١١٦ ، قال الشيخ محمود شاكر رحمه الله في تعليقه على طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٠١ : مُرْبح: من قولهم: أربحه بمتاعه أو سلعته: أعطاه ربحاً. أراد الأخطل أنه لا يبالي أنه يغالي بثمنها فيصيب الخمار منها ربحاً وافراً، يمدحه بحب اللهو وبالكرم. الحصور: البخيل الممسك المنوع. والسَّوَّار: الذي تَسُور الخمر في رأسه سريعاً.

(٣) ديوان امرئ القيس ص ٣٢ ، قال شارح الديوان: قوله: فلما تنازعنا الحديث: أي حدثتني وحدثتها. ومعنى أسمحت: انقادت وسهلت. وقوله: هصرت: يعني جذبت ومددت.

(٤) ١٨/ ٣٠ .

إثم. والتأثيم تفعيلٌ من الإثم، أي: تلك الكأس لا تجعلهم آثمين[١] لأنه مباح لهم. وقيل: «لَا لغْوٌ فِيهَا» أي: في الجنة[٢]. قال ابن عطاء: أيُّ لغوٍ يكون في مجلس محلُّه جنةُ عدن، وسقاتُهم الملائكة، وشربُهم على ذكر الله، وريحانُهم وتحيتُهم من عند الله، والقومُ أضياف الله[٣]. «وَلَا تَأْثِيمٌ» أي: ولا كذب. قاله ابن عباس[٤]. الضحاك: يعني لا يكذب بعضهم بعضًا[٥].

وقرأ ابن كثير وابن محيصن وأبو عمرو: «لَا لَغْوَ فيهَا وَلَا تَأْثِيمَ» بفتح آخره. الباقون بالرفع والتنوين[٦]. وقد مضى هذا في «البقرة»[٧] عند قوله تعالى: ﴿وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [الآية: ٢٥٤] والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ أي: بالفواكه والتُّحَف والطعام والشراب، ودليله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٧١]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصافات: ٤٥]. ثم قيل: هم الأطفال من أولادهم الذين سبقوهم، فأقرَّ الله تعالى بهم أعينَهم.وقيل: إنهم مَن أخدمَهم الله تعالى إيَّاهم من أولاد غيرهم[٨]. وقيل: هم غلمانٌ خُلِقوا في الجنة. قال الكلبي: لا يكبرون أبدًا ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في الحسن والبياض ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ في الصَّدَف، والمكنون: المَصُون. وقوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧] قيل: هم أولاد المشركين وهم خَدَمُ أهل الجنة، وليس في الجنة نَصَب ولا حاجة إلى خدمة، ولكنه أخبر بأنهم على نهاية النعيم.

(١) الوسيط ٤/ ١٨٨، وزاد المسير ٨/ ٥٢.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٨٣ ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) نسبه الثعالبي في تفسيره ٤/ ٢١٧ للثعلبي.

(٤) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٨٨.

(٥) أورده الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٨٢ بنحوه.

(٦) السبعة ص ٦١٢، والتيسير ص ٨٢.

(٧) ٤/ ٢٦١ - ٢٦٢.

(٨) نسب الماوردي القولين في النكت والعيون ٥/ ٣٨٣ لابن بحر.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أن نبيَّ الله ﷺ قال: «إن أدنى أهلِ الجنة منزلةً مَن ينادي الخادمُ من خدمه، فيجيبه ألفٌ؛ كلُّهم: لبَّيك لبَّيك»[(١)].

وعن عبد الله بن عمر قال: قال النبيُّ ﷺ: «ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألفُ غلام، كلُّ غلام على عمل ليس عليه صاحبه»[(٢)].

وعن الحسن أنهم قالوا: يا رسول الله، إذا كان الخادم كاللؤلؤ، فكيف يكون المخدوم؟ فقال: «ما بينهما كما بين القمر ليلةَ البدر وبين أصغر الكواكب»[(٣)].

قال الكسائي: كننتُ الشيء: سترته وصُنته من الشمس، وأكننته في نفسي: أسررته. وقال أبو زيد: كننته وأكننته بمعنًى في الكِنِّ وفي النفس جميعًا، تقول: كننت العلم وأكننته، فهو مكنون ومُكَنّ. وكننت الجارية وأكننتها، فهي مكنونة ومُكَنَّة[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ قال ابن عباس: إذا بُعِثوا من قبورهم سأل بعضهم بعضًا[(٥)]. وقيل: في الجنة يَتَسَاءَلُونَ، أي: يتذاكرون ما كانوا فيه في الدنيا من التعب والخوف من العاقبة[(٦)]، ويحمدون الله تعالى على زوال الخوف

---

(١) أورده الديلمي في مسند الفردوس ١/ ٢١٧، وأخرجه الثعلبي بنحوه كما في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٦٠.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٠، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٨٠) كلاهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الثعلبي كما في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٦٠.

(٤) الصحاح (كنن)، وقوله: الكِنّ، أي: السُّترة.

(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٩٠ بنحوه قال الألوسي في روح المعاني ٢٧/ ٣٥: ولا أُراه يصح عنه لبعده جداً.

(٦) أورده الواحدي في الوسيط ٤/ ١٨٨، والبغوي في تفسيره ٤/ ٢٤٠، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٥٢ - ٥٣ ونسبوه لابن عباس رضي الله عنهما.

عنهم. وقيل: يقول بعضهم لبعض: بمَ صِرت في هذه المنزلة الرفيعة[١]؟

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ أي: قال كلٌّ مسؤول منهم لسائله: «إِنَّا كُنَّا قَبْلُ» أي: في الدنيا خائفينَ وَجِلين من عذاب الله. ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ بالجنة والمغفرة. وقيل: بالتوفيق والهداية[٢]. ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ قال الحسن: السَّمُوم: اسم من أسماء النار، وطبقةٌ من طِباق جهنم[٣]. وقيل: هو النار كما تقول: جهنم. وقيل: عذاب نار السَّمُوم[٤]. والسَّمُوم: الريحُ الحارَّةُ تؤنَّث، يقال منه: سُمَّ يومُنَا فهو مسموم، والجمع سَمَائم. قال أبو عبيدة: السَّمُوم بالنهار، وقد تكون باللَّيل، والحَرورُ باللَّيل، وقد تكون بالنهار[٥]، وقد تستعمل السَّمُوم في لَفْح البرد، وهو في لَفْح الحَرِّ والشمسِ أكثر، قال الراجز:

اليوم يومٌ باردٌ سَمُومُهْ   مَنْ جَزِعَ اليومَ فلا أَلُومُهْ[٦]

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ﴾ أي: في الدنيا بأن يَمُنَّ علينا بالمغفرة عن تقصيرنا. وقيل: «نَدْعُوهُ» أي: نعبده[٧]. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ وقرأ نافع والكسائي: «أَنَّه» بفتح الهمزة، أي: لأنه. الباقون بالكسر على الابتداء[٨]. و«البَرُّ»

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٦٤.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٨٣.

(٣) أورده الواحدي في الوسيط ٤/ ١٨٨، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٠، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٥٣ عن الحسن بلفظ: السَّموم اسم من أسماء جهنم.

(٤) في (د) و(م): نار عذاب السموم، وسقط هذا الموضع من (ف)، والمثبت من (ز) و(ظ).

(٥) الصحاح (سمم).

(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٨٣، وأورد الرجز أيضاً الأزهري في تهذيب اللغة ١٢/ ٣٢٠، والميداني في مجمع الأمثال ١/ ١٠٥.

(٧) ذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٠.

(٨) السبعة ص ٦١٣، والتيسير ص ٢٠٣.

اللَّطيف. قاله ابن عباس[١]. وعنه أيضًا: إنه الصادق فيما وعد. وقاله ابن جريج[٢].

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فذكِّر يا محمد قومَك بالقرآن. ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ يعني برسالة ربِّك[٣] ﴿بِكَاهِنٍ﴾ تبتدع القول وتخبر بما في غدٍ من غير وَحْي[٤] ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وهذا ردٌّ لقولهم في النبيِّ ﷺ؛ فعقبة بن أبي مُعَيْط قال: إنه مجنون، وشيبة بن ربيعة[٥] قال: إنه ساحر، وغيرهما قال: كاهن؛ فأكذبهم اللهُ تعالى وردَّ عليهم. ثم قيل: إنَّ معنى «فما أنت بنعمة ربِّك» القَسَم، أي: وبنعمةِ اللهِ ما أنت بكاهن ولا مجنون. وقيل: ليس قَسَمًا، وإنما هو كما تقول: ما أنت بحمد الله بجاهل، أي: قد برَّأك الله من ذلك[٦].

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أي: بل يقولون: محمد شاعر. قال سيبويه: خوطب العبادُ بما جرى في كلامهم[٧]. قال أبو جعفر النحَّاس: وهذا كلامٌ حسن، إلَّا أنه غير مبيَّن ولا مشروح؛ ويريد سيبويه أنَّ «أَمْ» في كلام العرب لخروج من

---

(١) أخرجه الطبري ٢١/٥٩١.

(٢) أورد قول ابن عباس ابن الجوزي في زاد المسير ٨/٥٣، وقول ابن جريج الماوردي في النكت والعيون ٥/٣٨٣.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٨٤.

(٤) الوسيط للواحدي ٤/ ١٨٩.

(٥) في النكت والعيون ٥/ ٣٨٤: عتبة بن ربيعة.

(٦) ينظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٢٥.

(٧) ينظر الكتاب ٣/ ١٧٢ - ١٧٣.

حديث إلى حديث؛ كما قال الشاعر:

أَتَــهْــجُــر غــانــيــةً أَمْ تُــلِــمّ

فتمَّ الكلام، ثم خرج إلى شيء آخر فقال:

أَم الــحَــبــلُ واهٍ بــهــا مُــنْــجَــذِمْ[١]

فما جاء في كتاب الله تعالى مِن هذا، فمعناه التقريرُ والتوبيخ، والخروجُ من حديث إلى حديث، والنحويُّون يمثِّلونها بـ: بل.

﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ قال قتادة: قال قوم من الكفار: تربَّصوا بمحمد الموتَ يكفيكموه كما كفى[٢] شاعرَ بني فلان. قال الضَّحاك: هؤلاء بنو عبد الدار؛ نسبوه إلى أنه شاعر[٣]؛ أي: يَهلِك عن قريب كما هلك مَنْ قبلُ من الشعراء، وأنَّ أباه مات شابًّا، فربَّما يموت كما مات أبوه[٤]. وقال الأخفش: نتربَّص به إلى رَيْبِ المَنُون، فحذف حرف الجرّ، كما تقول: قصدت زيدًا، وقصدت إلى زيد[٥]. والمَنُون: الموت في قول ابن عباس[٦]. قال أبو الغول الطُّهوي:

هــمُ مَــنــعــوا حِــمَــى الــوَقَــبَــى بــضَــربٍ ... يــؤلِّــف بــيــن أشــتــاتِ الــمَــنُــونِ[٧]

أي: المنايا؛ يقول: إنَّ الضرب يجمع بين قومٍ متفرِّقي الأمكنة؛ لو أتتهم مناياهم في أماكنهم لأتتهم متفرِّقة، فاجتمعوا في موضع واحد، فأتتهم المنايا مجتمعة.

---

(١) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ٨٥ . قوله: تُلِمّ ، يقال : ألمَّ بالقوم : زارهم زيارة قصيرة قاله شارحه .

(٢) في تفسير الطبري ٢١/ ٥٩٣ ، والنكت والعيون ٥/ ٣٨٤ : كفاكم .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٨٤ .

(٤) ينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٢٨٥ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٤٠ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٦٩٧ للأخفش بنحوه .

(٦) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٩٢ - ٥٩٣ .

(٧) كتاب الحيوان ٣/ ١٠٧ ، والشعر والشعراء ١/ ٤٢٩ ، والأمالي ١/ ٢٦٠ ، والخزانة ٦/ ٤٣٤ .
قال البغدادي : الوقبى ، بفتح الواو والقاف : موضع بقرب البصرة .

وقال السُّدِّي: عن أبي مالك، عن ابن عباس[١]: «رَيْبَ» في القرآن شكٌّ، إلا مَكانًا واحداً في الطور «رَيْبَ المَنون» يعني: حوادث الأمور؛ وقال الشاعر[٢]:

تَربَّصْ بها رَيبَ المَنون لعلها ... تُطَلَّقُ يومًا أو يموتُ حَلِيلُها

وقال مجاهد: «رَيْبَ المَنُونِ»: حوادث الدهر[٣]، والمَنُون هو الدهر؛ قال أبو ذُؤَيْب[٤]:

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِه تتوجَّعُ ... والدَّهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

وقال الأعشى[٥]:

أَأَنْ رأَتْ رجلًا أعشى أَضرَّ به ... رَيبُ المَنُون ودهرٌ مُتْبِلٌ خَبِلُ

قال الأصمعي: المَنُون: الليل والنهار؛ وسمِّيا بذلك لأنهما ينقصان الأعمار ويقطعان الآجال. وعنه. أنه قيل للدهر: منون؛ لأنه يذهب بمُنَّة الحيوان، أي: قوَّته، وكذلك المَنِيَّة. أبو عبيدة: قيل للدهر: منون؛ لأنه مُضْعِف، من قولهم: حبل مَنِين، أي ضعيف، والمنين: الغبار الضعيف. قال الفرَّاء: والمنون مؤنثة، وتكون واحدًا وجمعًا. الأصمعي: المَنُون واحد لا جماعة له. الأخفش: هو جماعة لا واحد له[٦]، والمنون يذكَّر ويؤنَّث؛ فمَن ذكَّره جعله الدهرَ أو الموت، ومَن أنَّثه فعلى الحمل على المعنى، كأنه أراد المنية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾ أي: قل لهم يا محمد: تربَّصوا، أي: انتظروا. ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أي: من المنتظرين بكم العذاب، فعُذِّبوا يومَ بدرٍ بالسيف[٧].

---

(١) أخرجه عنه ابن الأنباري في الوقف والابتداء كما في الدر المنثور ٦/ ١٢٠ .

(٢) في النسخ: وقال ابن عباس، وهو خطأ، والشاعر هو فرّاص بن عتبة الأزدي، وسلف البيت ٤/ ٢٩ .

(٣) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٩٢ .

(٤) ديوان الهذليين ١/ ١ ، وسلف ص١٦٤ من هذا الجزء.

(٥) ديوانه ص ١٠٥ ، وسلف ٥/ ١٧٤ .

(٦) قولا الأصمعي والأخفش في المحرر الوجيز ٥/ ١٩١ ، وقول الفراء في الصحاح (منن) .

(٧) الوسيط للواحدي ٤/ ١٨٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٤١ .

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم﴾ أي: عقولهم ﴿بِهَٰذَا﴾ أي: بالكذب عليك. ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: أم طَغَوا بغير عقول. وقيل: «أَمْ» بمعنى: بل، أي: بل كفروا طغيانًا وإن ظهر لهم الحقّ.

وقيل لعمرو بن العاص: ما بالُ قومِك لم يؤمنوا وقد وصفهم اللهُ بالعقل؟ فقال: تلك عقولٌ كادها الله، أي: لم يصحبها بالتوفيق[١].

وقيل: «أحلامُهُمْ» أي: أذهانهم؛ لأن العقل لا يُعطَى للكافر، ولو كان له عقلٌ لآمن. وإنما يعطى الكافرُ الذِّهنَ، فصار عليه حُجَّة. والذِّهن يَقْبل العلمَ جملةً، والعقل يميِّز العلم ويقدِّر المقادير لحدود الأمر والنهي.

وروي عن النبيِّ ﷺ أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله، ما أعقلَ فلانًا النَّصرانيّ! فقال: «مَهْ إنَّ الكافر لا عقل له، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]؟». وفي حديث ابنِ عمر: فزجره النبيُّ ﷺ، ثم قال: «مَهْ فإنَّ العاقل مَن يعمل بطاعة الله» ذكره الترمذيُّ الحكيم أبو عبد الله بإسناده[٢].

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أي: افتعله وافتراه، يعني القرآن. والتقوُّل: تكلُّف القول، وإنما يُستعمل في الكذب في غالب الأمر. ويقال: قوَّلتَني ما لم أقل! وأَقْولتني ما لم أقل، أي: ادَّعيتَه عليّ. وتقَوَّل عليه، أي: كذب عليه. واقتال عليه: تحكَّم، قال:

ومَنزِلةٌ في دار صدقٍ وغِبْطةٍ وما اقْتَال مِن حُكمٍ عليَّ طبيبُ[٣]

فـ«أم» الأولى للإنكار، والثانيةُ للإيجاب، أي: ليس كما يقولون. ﴿بَل لَّا

(١) زاد المسير ٨/ ٥٤ - ٥٥، وفيه: لم يصحبها التوفيق.

(٢) لم نقف عليه. وأخرجه الحارث في مسنده (٨٣٦ بغية الباحث). قال ابن حجر في المطالب العالية ٣/ ٢١٤ - ٢١٥: حديث موضوع.

(٣) الصحاح (قول)، والبيت لكعب بن سعد الغَنَوي، وهو في طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٢٢، والحيوان ٣/ ٥٧.

يُؤْمِنُونَ﴾ جحداً واستكبارًا.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ أي: بقرآن يُشْبِهه من تلقاء أنفسهم ﴿إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ﴾ في أنَّ محمداً افتراه.

وقرأ الجحدري: «فليأتُوا بحديثِ مثله» بالإضافة. والهاءُ في «مثله» للنبيِّ ﷺ، وأُضيف الحديثُ الذي يراد به القرآنُ إليه؛ لأنه المبعوث به. والهاء على قراءة الجماعة للقرآن[١].

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَٰتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ «أَمْ» صلةٌ زائدة، والتقدير: أَخُلقوا من غير شيء. قال ابن عباس: من غير ربٍّ خلقهم وقدَّرهم. وقيل: من غير أمٍّ ولا أب[٢]؛ فهم كالجماد لا يعقلون ولا تقوم لِله عليهم حُجَّة؛ ليسوا كذلك! أليس قد خُلِقوا من نطفة وعلقة ومضغة؟ قاله ابن عطاء. وقال ابن كيسان: أم خُلِقوا عبثًا وتُركوا سُدًى «مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ»[٣] أي: لغير شيء، فـ«من» بمعنى اللام[٤]. ﴿أَمْ هُمُ الْخَٰلِقُونَ﴾ أي: أيقولون إنهم خَلَقوا أنفسهم فهم لا يأتمرون لأمر الله، وهم لا يقولون[٥] ذلك، وإذا أقرُّوا أنَّ ثَمَّ خالقًا غيرَهم، فما الذي يمنعهم من الإقرار له بالعبادة دون الأصنام،

---

(١) الكلام بنحوه في المحتسب ٢/ ٢٩٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٢.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٥٩٦ بنحوه، وقول ابن عباس في تفسير البغوي ٤/ ٢٤١، وينظر الكشاف ٤/ ٢٩.

(٣) ذكر قوله الواحدي في الوسيط ٤/ ١٨٩، والبغوي في تفسيره ٤/ ٢٤١.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢١/ ٥٩٦، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٦٥.

(٥) في (ظ): يقرون.

ومن الإقرار بأنه قادرٌ على البعث.

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك، فإنهم لم يخلقوا شيئاً ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ بالحقّ.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ أم عندهم ذلك فيستغنوا عن الله ويُعرِضوا عن أمره. وقال ابن عباس: خزائن ربِّك: المطر والرزق[١]. وقيل: مفاتيح الرحمة[٢]. وقال عكرمة: النبوَّة. أي: أفبأيديهم مفاتيحُ ربِّك بالرسالة يضعونها حيث شاؤوا. وضَرَبَ المثلَ بالخزائن؛ لأن الخزانة بيت يُهيَّأ لجمع أنواعٍ مختلفةٍ من الذخائر؛ ومقدوراتُ الربِّ كالخزائن التي فيها من كل الأجناس، فلا نهاية لها.

﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ قال ابن عباس[٣]: المسلَّطون الجبَّارون. وعنه أيضًا: المبطلون. وقاله[٤] الضحاك. وعن ابن عباس أيضًا: أم هم المتولُّون. عطاء: أم هم أربابٌ قاهرون[٥]. قال عطاء[٦]: يقال: تسيطرتَ عليّ، أي: اتخذتني خَوَلًا لك. وقاله أبو عبيدة[٧].

وفي الصحاح: المسيطر والمصيطر: المسلَّط على الشيء لِيُشرِف عليه ويتعهَّدَ أحوالَه ويكتب عمله، وأصله من السَّطر؛ لأن الكتاب يُسطَّر، والذي يفعله مُسطِّر ومُسَيْطِر. يقال: سيطرتَ علينا[٨].

ابن بحر: «أم هم المسيطِرون» أي: أهم الحفظة؛ مأخوذ من تسطير الكتاب

---

(١) زاد المسير ٨/ ٥٦.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٨٥. وقول عكرمة الآتي في تفسير البغوي ٤/ ٢٤١، وزاد المسير ٨/ ٥٦.

(٣) أخرج قوله الطبري ٢١/ ٥٩٧.

(٤) في (ز) و(ظ) و(ف): قاله؛ دون واو.

(٥) قول عطاء في تفسير البغوي ٤/ ٢٤١، وقول ابن عباس في النكت والعيون ٥/ ٣٨٥.

(٦) كذا في النسخ، ولعل قوله: (قال عطاء) مقحم، فقول عطاء هو السالف، ولم يُذكر الكلام بعده عنه.

(٧) في مجاز القرآن ٢/ ٢٣٣. والخَوَل: اسم يقع على العبد والأمة. (مختار الصحاح).

(٨) الصحاح (سطر).

الذي يَحفظ ما كُتب فيه؛ فصار المسيطر هنا حافظًا ما كتبه الله في اللوح المحفوظ[1].

وفيه ثلاث لغات: الصاد، وبها قرأت العامة، والسين، وهي قراءة ابن مُحيصِن، وحُميد، ومجاهد، وقُنْبُل، وهشام، وأبي حَيْوة[2]، وبإشمام الصاد الزاي، وهي قراءة حمزة كما تقدَّم في «الصِّراط»[3].

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ أي: أيدَّعون أنَّ لهم مُرتقًى إلى السماء ومصعدًا وسببًا ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه الأخبارَ ويَصِلون به إلى علم الغيب، كما يصل إليه محمدٌ ﷺ بطريق الوحي. ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجَّة بيِّنة أنَّ هذا الذي هم عليه حقّ.

والسُّلَّم واحد السلالم التي يُرتقى عليها. وربما سُمِّي الغَرْزُ بذلك؛ قال أبو الرُّبَيْس الثعلبيُّ[4] يصف ناقته:

مُطَارةُ قَلْبٍ إنْ ثَنَى الرِّجْلَ ربُّها   بسُلَّمِ غَرْزٍ في مُناخٍ تُعاجِلُهْ[5]

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٨٥.

(٢) وقرأ بالسين ـ أيضاً ـ حفص بخلاف عنه. السبعة ص ٣٦٣، والتيسير ص ٢٠٤.

(٣) ١/ ٢٢٨.

(٤) هو شاعر إسلامي، وقد اضطربت المصادر في اسمه ونسبه، فقيل: عَبّاد بن طهفة، وقيل: عبادة، وقيل: هباد بن عباس، وقيل: عباد بن طَهمة. وقيل في نسبه: الثعلبي، وقيل: التغلبي، قال الزبيدي في التاج (ربس): هو من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، هكذا قاله الصاغاني. وفي اللسان: وأبو الربيس التغلبي من شعراء تغلب. وهو تصحيف، والصواب مع الصاغاني. اهـ. وينظر الصحاح (سلم)، والإكمال لابن ماكولا ٤/ ١٢٣ - ١٢٤، واللسان (ربس) و(سلم) و(لوي)، والقاموس (ربس)، والخزانة ٦/ ٨٩ - ٩٠، والتاج (ربس).

(٥) الصحاح (سلم)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٢٥٦، واللسان (سلم). قال المرزوقي: والمراد أنها ذكية الفؤاد، شهمة النفس، فكأن بها لنشاطها وذكائها جنوناً أطار قلبها، وأزال مُسكتها. قوله: تعاجِلُهْ، أصله: تعاجِلُهُ، اللام ساكنة للجزم، لكنه نقل إليها حركة الهاء، وهو ضمير يرجع إلى: ربُّها. والغرز: الرِّكاب، عاجلته فنهضت به قبل تمكنه من ركوبها، واستقراره على ظهرها.

وقال زهير[١]:

ومَن هابَ أسبابَ المنيَّة يَلْقَها ... ولو رام أسبابَ السَّماءِ بسُلَّمِ

وقال آخر:

تَجنَّيتِ لي ذنبًا وما إنْ جَنَيْتُه ... لِتتَّخذي عذْرًا إلى الهَجر سُلَّما[٢]

وقال ابن مُقبِل في الجمع:

لا تُحرِزُ المرءَ أَحْجاءُ البلاد ولا ... تُبْنَى له في السَّماوات السَّلاليمُ[٣]

الأحجاء: النواحي، مثل الأرجاء، واحدها حَجًا ورَجًا، مقصور. ويُروى: أعْناءُ البلاد، والأعْناء ـ أيضاً ـ الجوانب والنواحي، واحدها: عِنْو، بالكسر. وقال ابن الأعرابي: واحدها: عَنًا، مقصور. وجاءنا أعناءٌ من الناس، واحدهم: عِنْو، بالكسر، وهم قومٌ من قبائل شتَّى[٤].

﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه؛ كقوله تعالى: ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: عليها؛ قاله الأخفش. وقال أبو عبيدة[٥]: يستمعون به. وقال الزجَّاج[٦]: أي: ألهم كجبريل الذي يأتي النبيَّ ﷺ بالوحي!

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ سَفَّه أحلامهم توبيخًا لهم وتقريعًا، أي: أتضيفون إلى الله البناتِ مع أَنَفتكم منهن، ومَن كان عقلُه هكذا فلا يُستبعد منه إنكارُ البعث.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي: على تبليغ الرسالة. ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ أي: فهم من

(١) ديوانه ص ٣٠، وسلف ١١/ ٨٣.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٨٥.

(٣) ديوان ابن مقبل ص ٢٧٣ برواية: لا تمنع المرء...، وهو براوية المصنف في الصحاح (حجا).

(٤) الصحاح (حجا)، (عنا).

(٥) في مجاز القرآن ٢/ ٢٣٣.

(٦) في معاني القرآن ٥/ ٦٧.

المغرم الذي تطلبهم به مُثْقَلون، مُجْهَدون لما كلَّفتهم به.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: يكتبون للناس ما أرادوه من علم الغيوب. وقيل: أي: أم عندهم علمُ ما غاب عن الناس حتى علموا أنَّ ما أخبرهم به الرسول ﷺ من أمر القيامة والجنة والنار والبعث باطل. وقال قتادة: لـمَّا قالوا: نتربَّص به رَيْبَ المَنُون، قال الله تعالى: «أَمْ عندهُمُ الغَيْبُ» حتى عَلِموا متى يموت محمد، أو إلى ما يؤول إليه أمرُه. وقال ابن عباس: أم عندهم اللوحُ المحفوظ، فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس بما فيه. وقال القُتَبي: يكتبون: يحكمون، والكتاب: الحكم؛ ومنه قولُه تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي: حكم، وقولُه عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لأَحْكُمنَّ بينكم بكتاب الله» أي: بحكم الله[1].

قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: مكرًا بك في دار النَّدْوة. ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ أي: الممكور بهم، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] وذلك أنهم قُتلوا ببدر[2]. ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يخلق ويرزق ويمنع. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزَّه نفسَه أنْ يكونَ له شريك.

قال الخليل: كلُّ ما في سورة الطور مِن ذِكْر «أَمْ» فكلمة استفهام وليس بعطف[3].

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ قال ذلك جوابًا لقولهم: «فأَسْقِط

---

(١) ذكر هذه الأقوال البغوي في تفسيره ٤/ ٢٤٢، والحديث أخرجه أحمد (١٧٠٣٨)، والبخاري (٢٣١٤ - ٢٣١٥)، ومسلم (١٦٩٧ - ١٦٩٨)، عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله عنهما، وهو قطعة منه، وسلف ٦/ ١٤٥.

(٢) الوسيط للواحدي ٤/ ١٩٠، وتفسير البغوي ٤/ ٢٤٢، والكشاف ٤/ ٢٦.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٢.

علينا كِسَفًا مِن السَّماء» [الشعراء:١٨٧] وقولِهم: «أَوْ تُسقِطَ السَّماءَ كما زعمْت علينا كِسَفًا» [الإسراء:٩٢] فأَعْلَمَ أنه لو فعل ذلك لقالوا: «سحابٌ مَركوم» أي: بعضه فوق بعض، سقط علينا وليس سماء؛ وهذا فِعْلُ المعاند أو فعل مَن استولى عليه التقليد، وكان في المشركين القسمان[1].

والكِسْف جمع كِسْفة، وهي القطعة من الشيء؛ يقال: أعطني كِسْفة من ثوبك، ويقال في جمعها أيضًا: كِسَف. ويقال: الكِسْف والكِسْفة واحد. وقال الأخفش: مَن قرأ: «كِسْفاً» جعله واحدًا، ومَن قرأ: «كِسَفاً» جعله جمعاً[2]. وقد تقدَّم القولُ في هذا في «سبحان» وغيرِها، والحمدُ لله[3].

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ منسوخٌ بآية السيف[4]. ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾ بفتح الياء قراءةُ العامّة، وقرأ ابن عامر وعاصمٌ بضمِّها[5]. قال الفرَّاء[6]: هما لغتان: صَعِق وصُعِق، مثل: سَعِد وسُعِد.

قال قتادة: يوم يموتون[7]. وقيل: هو يومُ بدر. وقيل: يوم النفخة الأولى. وقيل: يوم القيامة يأتيهم فيه من العذاب ما يُزيل عقولهم. وقيل: «يُصْعَقُون» بضم الياء، مِن: أصعقه الله.

---

(١) الكلام بنحوه في تفسير غريب القرآن ص ٤٢٦ ، وتفسير الطبري ٢١/ ٦٠١ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٤٢ ، والكشاف ٤/ ٢٩ .

(٢) الصحاح (كسف). وقد اتفق العشرة في هذا الموضع على إسكان السين.

(٣) ١٣/ ١٧٥ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٣ . قال ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٥٩ : ذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية السيف ، ولا يصح ، لأن معنى الآية الوعيد .

(٥) السبعة ص ٦١٣ ، والتيسير ص ٢٠٤ .

(٦) في معاني القرآن ٣/ ٩٤ .

(٧) النكت والعيون ٥/ ٣٨٦ ، والأقوال الآتية فيه وفي الكشاف ٤/ ٢٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٤ ، وزاد المسير ٨/ ٥٩ .

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أي: ما كادوا به النبيَّ ﷺ في الدنيا. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ من الله. و«يَوْمَ» منصوبٌ على البدل مِن «يومَهُم الَّذي فيه يُصْعَقون»[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَالِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: كفروا ﴿عَذَابًا دُونَ ذَالِكَ﴾ قيل: قبل موتهم. ابن زيد: مصائب الدنيا من الأوجاع والأسقام والبلايا، وذهابِ الأموال والأولاد. مجاهد: هو الجوع والجَهْد سبعَ سنين. ابن عباس: هو القتل. وعنه: عذاب القبر. وقاله البَرَاء بنُ عازِب وعليٌّ ﷺ. فـ «دُونَ» بمعنى: غير. وقيل: عذابًا أخفَّ من عذاب الآخرة[٢]. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ العذاب نازلٌ بهم. وقيل: «ولكنَّ أكثرَهم لا يعلمون» ما يصيرون إليه.

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

فيه مسألتان:

الأولى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ قيل: لقضاء ربِّك فيما حمَّلك مِن رسالته. وقيل: لبلائه فيما ابتلاك به مِن قومك[٣]؛ ثم نُسخ بآية السيف[٤].

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى ومنظرٍ منَّا؛ نرى ونسمع ما

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٦٣.

(٢) هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢١/٦٠٣ - ٦٠٤، والنكت والعيون ٥/٣٨٦، والوسيط للواحدي ٤/١٩١، وتفسير البغوي ٤/٢٤٣، والكشاف ٤/٢٦، وتفسير الرازي ٢٨/٢٧٣.

(٣) النكت والعيون ٥/٣٨٧.

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٨/٦٠: وذكر المفسرون أن معنى الصبر نسخ بآية السيف، ولا يصح؛ لأنه لا تضاد.

تقول وتفعل. وقيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونَحرُسك ونرعاك. والمعنى واحد. ومنه قولُه تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩] أي: بحفظي وحراستي[١]، وقد تقدَّم[٢].

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ . وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ اختُلف في تأويل قولِه: «حِينَ تَقُومُ»؛ فقال عوف بن مالك[٣] وابن مسعود وعطاء وسعيد بن جبير وسفيان الثوري[٤]: يسبِّح الله حين يقوم من مجلسه؛ فيقول: سبحان الله وبحمده، أو: سبحانك اللهم وبحمدك؛ فإن كان المجلس خيرًا ازددت ثناءً حسنًا، وإن كان غيرَ ذلك كان كفارةً له؛ ودليل هذا التأويلِ ما خرَّجه الترمذيُّ[٥] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن جلس في مجلس فكَثُر فيه لَغَطُه، فقال قبل أن يقوم في مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلَّا غُفِر له ما كان في مجلسه ذلك» قال: حديث حسن غريب صحيح. وفيه[٦] عن ابن عمر قال: كنَّا نَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئةَ مرَّةٍ من قبل أن يقوم: «ربِّ اغفر لي وتب عليّ، إنك أنت التوَّاب الغفور» قال حديث حسن صحيح غريب.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٨٧ ، وينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٢٨٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٤٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٦٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦٣ .

(٢) ١٤/ ٥٨ - ٥٩ .

(٣) في (د) و(م) : عون بن مالك، وهو خطأ، والأثر أخرجه الطبري ٢١/ ٦٠٥ - ٦٠٦ عن عوف بن مالك أبي الأحوص .

(٤) بعدها في النسخ عدا (ف) : وأبو الأحوص ، وهو عوف بن مالك السالف . وقول ابن مسعود في أحكام القرآن للكيا ٤/ ٣٩١ ، وقول عطاء وسعيد بن جبير في تفسير البغوي ٤/ ٢٤٣ .

(٥) في سننه (٣٤٣٣) ، وهو عند أحمد (١٠٤١٥)، وسلف ص٤٥٤ من هذا الجزء.

(٦) برقم (٣٤٣٤) ، وهو عند أحمد (٤٧٢٦) .

وقال محمد بن كعب والضحَّاك والربيع[١]: المعنى: حين تقوم إلى الصلاة. قال الضحَّاك يقول: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا[٢].

قال الكيا الطبري[٣]: وهذا فيه بُعد؛ فإنَّ قوله: «حينَ تقوم» لا يدلُّ على التسبيح بعد التكبير، فإنَّ التكبير هو الذي يكون بعد القيام، والتسبيح يكون وراءَ ذلك، فدلَّ أنَّ المراد به: حين تقوم من كل مكان، كما قال ابن مسعود ﷺ.

وقال أبو الجوزاء وحسَّان بن عطية: المعنى: حين تقوم من منامك. قال حسان: ليكون مفتتحًا لعمله بذكر الله[٤].

وقال الكلبي: واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل الصلاة[٥]. وهي صلاة الفجر. وفي هذا رواياتٌ مختلفات صِحَاح؛ منها حديث عُبادةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «مَن تَعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد[٦] لله وسبحان الله [ولا إله إلا الله] والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له، فإنْ توضَّأ وصلَّى، قُبلت صلاته» خرَّجه البخاري[٧]. تعارَّ الرجل من الليل: إذا هبَّ من نومه مع صوت؛ ومنه: عَارَّ الظَّلِيمُ يَعارُّ عِرَارًا، وهو صوته؛ وبعضهم يقول: عَرَّ الظَّلِيمُ يَعِرُّ عِرَارًا، كما قالوا: زَمَر النَّعامُ يَزْمِرُ زِمَارًا[٨].

وعن ابن عباس: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل:

---

(١) ذكر قول الضحاك والربيع البغوي في تفسيره ٤/ ٢٤٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٤٩.

(٣) في أحكام القرآن ٤/ ٣٩١.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٨٧ عن حسان بن عطية.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٤٣.

(٦) المثبت من (ز) و(ظ)، وفي غيرهما: والحمد.

(٧) في صحيحه (١١٥٤) وما بين حاصرتين منه. وسلف ص٤٦٢ من هذا الجزء.

(٨) الصحاح (عرر).

«اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومَن فيهنّ، ولك الحمد، أنت قَيُّوم السماوات والأرض ومن فيهنّ، ولك الحمد، أنت ربُّ السماوات والأرض ومن فيهنّ، أنت الحقّ، ووعدك الحقّ، وقولك الحقّ، ولقاؤك الحقّ، والجنة حقّ، والنار حقّ، والساعة حقّ، والنبيُّون حقّ، ومحمدٌ حقّ. اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدَّمت وأخَّرت، وأسررت وأعلنت، أنت المقدِّم، وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت، ولا إله غيرك». متفق عليه[١].

وعن ابن عباس أيضًا: أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا استيقظ من الليل، مسح النومَ عن وجهه؛ ثم قرأ العشرَ الآياتِ الأواخر من سورة آل عمران[٢].

وقال زيد بن أسلم: المعنى: حين تقوم من نوم القائلة لصلاة الظهر[٣]. قال ابن العربي[٤]: أمَّا نوم القائلة فليس فيه أثر، وهو ملحَق بنوم الليل.

وقال الضحَّاك: إنه التسبيح في الصلاة إذا قام إليها[٥]. الماوردي[٦]: وفي هذا التسبيح قولان: أحدهما: وهو قوله: سبحان ربي العظيم؛ في الركوع، وسبحان ربي الأعلى؛ في السجود. الثاني: أنه التوجُّه في الصلاة، يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك وتعالى جَدُّك، ولا إله غيرك.

قال ابن العربي[٧]: مَن قال: إنه التسبيح للصلاة، فهذا أفضله، والآثار في ذلك

---

(١) صحيح البخاري (١١٢٠)، وصحيح مسلم (٧٦٩)، وسلف تخريجه ١٠/ ٤٩٢.

(٢) أخرجه أحمد (٣٣٧٢)، والبخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣): (١٨٢) بنحوه مطولاً.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٨٧.

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٧٢١.

(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ٦٠٦ بنحوه.

(٦) في النكت والعيون ٥/ ٣٨٧.

(٧) في أحكام القرآن ٤/ ١٧٢١.

كثيرة، أعظمُها ما ثبت عن عليِّ بن أبي طالب ﷺ عن النبيِّ ﷺ: أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجَّهت وجهيَ» الحديث. وقد ذكرناه وغيرَه في آخر سورة الأنعام[1].

وفي البخاريِّ[2] عن أبي بكر الصدِّيق ﷺ أنه قال: قلت: يا رسول الله، عَلِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي؛ فقال: «قل: اللَّهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوبَ إلا أنت، فاغفر لي مغفرَة مِن عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم».

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ تقدَّم في «ق» مستوفًى عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [الآية: ٤٠][3].

وأما «إِدبارَ النُّجوم» فقال عليٌّ وابن عباس وجابرٌ وأنس: يعني ركعتي الفجر. فحمل بعضُ العلماء الآيَةَ على هذا القول على الندب، وجَعَلَها منسوخةً بالصلوات الخمس.

وعن الضحَّاك وابنِ زيد: أنَّ قوله: «وإِدبارَ النُّجوم» يريد به صلاة الصبح، وهو اختيار الطبريّ[4].

وعن ابن عباس: أنه التسبيح في أدبار[5] الصلوات.

وبكسر الهمزة في «إِدبارَ النُّجوم» قرأ السبعةُ، على المصدر حسَب ما بيَّنَّاه في «ق». وقرأ سالم بن أبي الجعد ومحمد بن السَّمَيْفَع: «وَأدبارَ» بالفتح[6]، ومثلُه روي عن يعقوب[7] وسلام وأيوب؛ وهو جمع دُبْر ودُبُر. ودُبْر الأمر ودُبُره: آخره.

---

(١) ٩/ ١٤٠، والحديث أخرجه أحمد (٧٢٩)، ومسلم (٧٧١).

(٢) برقم (٨٣٤)، وهو عند أحمد (٨)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٣) ص٤٦٢ من هذا الجزء.

(٤) في تفسيره ٢١/ ٦٠٩، وفيه الآثار السالفة عدا قول جابر وأنس رضي الله عنهما.

(٥) في (م): آخر، والأثر ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٨٨.

(٦) المحتسب ٢/ ٢٩٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٤ عن سالم.

(٧) ذكرها عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٤، والمشهور عنه كالعامة.

وروى الترمذيُّ[١] من حديث محمد بن فضيل، عن رِشْدِين بن كُرَيب، عن أبيه، عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ قال: «إدبارُ النجوم الركعتان قبل الفجر، وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب». قال: حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلَّا من هذا الوجه، من حديث محمد بنِ فُضيل، عن رِشْدِين بن كُريب. وسألت محمد بن إسماعيل، عن محمد بن فُضيل، ورِشْدين بن كُريب: أيُّهما أوثق؟ فقال: ما أقرَبَهما، ومحمدٌ عندي أرجح. قال: وسألت عبد الله بنَ عبد الرحمن[٢] عن هذا، فقال: ما أقربَهما؛ ورِشْدِين بن كُريب أرجحهما عندي. قال الترمذي: والقول عندي ما قال أبو محمد، ورِشْدين بن كُريب أرجح من محمد وأقدم، وقد أدرك رِشْدِينُ ابنَ عباس ورآه.

وفي صحيح مسلم[٣] عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبيُّ ﷺ على شيء من النوافل أشدَّ معاهدةً منه على ركعتين قبل الصبح. وعنها[٤] عن النبيِّ ﷺ قال: «ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها».

تم تفسير سورة والطور، والحمد لله.

تم الجزء التاسع عشر من تفسير القرطبي
ويليه الجزء العشرون، ويبدأ بتفسير سورة النجم

---

(١) في سننه (٣٢٧٥)، وسلف بنحوه ص٤٦٢ من هذا الجزء.

(٢) هو أبو محمد الدارمي.

(٣) برقم (٧٢٤): (٩٤)، وهو عند أحمد (٢٤١٦٧)، والبخاري (١١٦٩).

(٤) برقم (٧٢٥)، وهو عند أحمد (٢٤٢٤١) و(٢٦٢٨٦).

تفسير سورة الطـور

وهى مكية.

قال مالك، عن الزهرى، عن محمد بن جُبَير بن مطعم، عن أبيه: سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور، فما سمعت أحدا أحسن صوتا ـ أو: قراءة ـ منه.

أخرجاه من طريق مالك [1] وقال البخارى:

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن محمد بن عبد الرحمن بن نَوْفَل، عن عُرْوَة، عن زينب بنت أبى سلمة، عن أم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أنى أشتكى، فقال: «طُوفى من وراء الناس وأنت راكبة» فطفت، ورسول الله ﷺ يصلى إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِن دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦)﴾ .

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة: أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم. فالطور هو: الجبل الذى يكون فيه أشجار، مثل الذى كلم الله عليه موسى، وأرسل منه عيسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طورا، إنما يقال له: جبل.

﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ. وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة التى تقرأ على الناس جهارا؛ ولهذا قال: **﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾**. ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال فى حديث الإسراء ـ بعد مجاوزته إلى السماء السابعة ـ: «ثم رفع بى[3] إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله فى كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم» يعنى: يتعبدون فيه ويطوفون، كما

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٨٥٤) وصحيح مسلم برقم (٤٦٣).
(٢) صحيح البخارى برقم (٤٨٥٣) وصحيح مسلم (١٢٧٦).
(٣) فى م: «لى».

يطوف أهل الأرض بكعبتهم كذلك ذاك البيت، هو كعبة أهل السماء السابعة؛ ولهذا وجد إبراهيم الخليل، عليه السلام، مسندا ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه بانى الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل، وهو بحيال الكعبة، وفى كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه، والذى فى السماء الدنيا يقال له: بيت العزة. والله أعلم.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا روح بن جناح، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: « فى السماء السابعة بيت يقال له: «المعمور» بحيال الكعبة، وفى السماء الرابعة نهر يقال له: «الحيوان» يدخله جبريل كل يوم، فينغمس فيه انغماسة، ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور، فيصلوا [١] فيه فيفعلون، ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدا، ويولى عليهم أحدهم، يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة».

هذا حديث غريب جدا، تفرد به روح بن جناح هذا، وهو القرشى الأموى مولاهم أبو سعد الدمشقى، وقد أنكر هذا الحديث عليه جماعة من الحفاظ منهم: الجوزجانى، والعقيلى، والحاكم أبوعبد الله النيسابورى، وغيرهم.

قال الحاكم: لا أصل له من حديث أبى هريرة، ولا سعيد، ولا الزهرى[٢].

وقال ابن جرير: حدثنا هَنَّاد بن السُّرِىّ، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك بن حرب، عن خالد ابن [٣] عرعرة؛ أن رجلا قال لعلى: ما البيت المعمور؟ قال: بيت فى السماء يقال له: «الضُّراح»، وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمته فى السماء كحرمة البيت فى الأرض، يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة، لا[٤] يعودون فيه أبدا[٥].

وكذا رواه شعبة وسفيان الثورى، عن سِمَاك وعندهما أن ابن الكواء هو السائل عن ذلك. ثم رواه ابن جرير عن أبى كُرَيب، عن طَلْق بن غنام، عن زائدة، عن عاصم، عن على بن ربيعة قال: سأل ابن الكواء عليا عن البيت المعمور، قال: مسجد فى السماء يقال له: «الضُّراح»، يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبدا. ورواه من حديث أبى الطُّفَيْل، عن على بمثله.

وقال العَوْفى، عن ابن عباس: هو بيت حذاء العرش، تعمره الملائكة، يصلى فيه كل يوم سبعون

(١) فى م: «فيصلون».

(٢) ورواه ابن عدى فى الكامل (٣/ ١٤٤) من طريق هشام بن عمار به، وقال: «سمعت ابن حماد يقول: قال السعدى: روح بن جناح ذكر عن الزهرى حديثاً معضلا فى البيت المعمور» ثم ساقه بإسناده وتعقبه بقوله: «ولا يعرف هذا الحديث إلا بروح بن جناح عن الزهرى».

(٣) فى م: «عن».

(٤) فى م: «ثم لا».

(٥) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٠).

ألفا من الملائكة ثم لا يعودون إليه. وكذا قال عكرمة، ومجاهد، والربيع بن أنس، والسدى، وغير واحد من السلف.

وقال قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوما لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه مسجد فى السماء بحيال الكعبة، لو خر لخر عليها، يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم».

وزعم الضحاك أنه يعمره طائفة من الملائكة يقال لهم: الحِن[١]، من قبيلة إبليس[٢]، فالله أعلم.

وقوله: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾: قال سفيان الثورى، وشعبة، وأبو الأحوص، عن سِمَاك، عن خالد بن عَرْعَرَة، عن على: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعنى: السماء، قال سفيان: ثم تلا: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: ٣٢]. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والسدى، وابن جُرَيْج، وابن زيد، واختاره ابن جرير.

وقال الربيع بن أنس: هو العرش، يعنى: أنه سقف لجميع المخلوقات، وله اتجاه، وهو يُراد مع غيره كما قاله الجمهور.

وقوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾: قال الربيع بن أنس: هو الماء الذى تحت العرش، الذى ينزل [الله][٣] منه المطر الذى يحيى به الأجساد فى قبورها يوم معادها. وقال الجمهور: هو هذا البحر. واختلف فى معنى قوله: ﴿الْمَسْجُورِ﴾، فقال بعضهم: المراد أنه يوقد يوم القيامة نارا كقوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أى: أضرمت فتصير[٤] نارا تتأجج، محيطة بأهل الموقف. رواه سعيد ابن المسيب، عن على بن أبى طالب، ورُوى عن ابن عباس. وبه يقول سعيد بن جبير، ومجاهد، وعبد الله بن عبيد بن عُمير [٥]، وغيرهم.

وقال العلاء بن بدر: إنما سمى البحر المسجور لأنه لا يُشرب منه ماء، ولا يسقى به زرع، وكذلك البحار يوم القيامة. كذا رواه عنه ابن أبى حاتم.

وعن سعيد بن جُبير: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ يعنى: المرسل. وقال قتادة: ﴿[وَالْبَحْرِ][٦] الْمَسْجُورِ﴾: المملوء. واختاره ابن جرير ووجهه بأنه ليس موقدا اليوم فهو مملوء.

وقيل: المراد به: الفارغ، قال الأصمعى، عن أبى عمرو بن العلاء، عن ذى الرمة، عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال: الفارغ؛ خرجت أمة تستسقى فرجعت فقالت: «إن الحوض مسجور»، تعنى: فارغا. رواه ابن مردويه فى مسانيد الشعراء.

---

(١) فى م، أ: «الجن».
(٢) تفسير الطبرى (٢٧/ ١١).
(٣) زيادة من م، أ. (٤) فى م: «فصيرت». (٥) فى م: «وعبيد الله بن عمير».
(٦) زيادة من م.

وقيل: المراد بالمسجور: الممنوع المكفوف عن الأرض؛ لئلا [١] يغمرها فيغرق أهلها. قاله [٢] على ابن أبى طلحة، عن ابن عباس، وبه يقول السدى وغيره، وعليه يدل الحديث الذى رواه الإمام أحمد، رحمه الله، فى مسنده، فإنه قال:

حدثنا يزيد، حدثنا [٣] العوام، حدثنى شيخ كان مرابطا بالساحل قال: لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال: حدثنا عمر بن الخطاب ، عن رسول الله ﷺ قال: «ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات، يستأذن الله أن ينفضخ [٤] عليهم، فيكفه الله عز وجل» [٥].

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلى: حدثنا الحسن بن سفيان، عن إسحاق بن راهويه، عن يزيد ـ وهو ابن هارون ـ عن العوام بن حوشب، حدثنى شيخ مرابط قال: خرجت ليلة لحرسى [٦] لم يخرج أحد من الحرس غيرى، فأتيت الميناء فصعدت، فجعل يخيل إلىَّ أن البحر يشرف يحاذى رؤوس الجبال، فعل ذلك مرارا وأنا مستيقظ، فلقيت أبا صالح فقال: حدثنا عمر بن الخطاب: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات، يستأذن الله أن ينفضخ عليهم، فيكفه الله عز وجل». فيه رجل مبهم لم يسم [٧].

وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: هذا هو المقسم عليه، أى: الواقع [٨] بالكافرين، كما قال فى الآية الأخرى: ﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ أى: ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك.

قال الحافظ أبو بكر بن أبى الدنيا: حدثنا أبى، حدثنا موسى بن داود، عن صالح المرى، عن جعفر بن [٩] زيد العبدى قال: خرج عمر يَعسّ المدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائما يصلى، فوقف يستمع قراءته فقرأ: ﴿وَالطُّورِ﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ قال: قسم ـ ورب الكعبة ـ حق. فنزل عن حماره واستند إلى حائط، فمكث مليا، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه، رضى الله عنه [١٠].

وقال الإمام أبو عبيد فى «فضائل القرآن»: حدثنا محمد بن صالح، حدثنا هشام بن حسان، عن الحسن: أن عمر قرأ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. [مَا لَهُ مِن دَافِعٍ] [١١]﴾، فربا لها ربوة، عيد منها عشرين يوما [١٢].

وقوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾: قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكا. وعن ابن عباس: هو تشققها، وقال مجاهد: تدور دورا. وقال الضحاك: استدارتها وتحريكها لأمر الله، وموج بعضها فى

---

(١) فى م: «لا». (٢) فى م: «وقال». (٣) فى م: «بن». (٤) فى م: «ينفضح».
(٥) المسند (١/ ٤٣) ورواه من طريق ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/ ٥٢) وقال: «العوام ضعيف، والشيخ مجهول».
(٦) فى م: «لمحرثى».
(٧) وذكره المؤلف فى مسند عمر (٢/ ٦٠٨) من رواية الإسماعيلى، وقال: « فيه رجل مبهم لم يسم، والله أعلم بحاله» .
(٨) فى م: «واقع». (٩) فى أ: «عن» .
(١٠) وذكره المؤلف فى مسند عمر (٢/ ٦٠٧) من رواية ابن أبى الدنيا وفى إسناده صالح المرى، ووقع فى مسند عمر «المدنى» فإن كان المرى فهو ضعيف. (١١) زيادة من م.
(١٢) فضائل القرآن لأبى عبيد (ص٦٤).

بعض. وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك[١] فى استدارة. قال: وأنشد أبو عبيدة معمر بن المثنى بيت الأعشى:

كأن مشْيَتَها من بيتِ جَارتها مَورُ السحابة، لا رَيْثٌ ولا عجل[٢]

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أى: تذهب فتصير هباء منبثا، وتنسف نسفا، ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أى: ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم، وعقابة لهم، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أى: هم فى الدنيا يخوضون فى الباطل، ويتخذون دينهم هزوا ولعبا، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ أى: يدفعون ويساقون، ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: وقال مجاهد، والشعبى، ومحمد بن كعب، والضحاك، والسدى، والثورى: يدفعون فيها دفعا ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أى: تقول لهم الزبانية ذلك تقريعا وتوبيخا، ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ. اصْلَوْهَا﴾ أى: ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أى: سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا، لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها[٣]، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أى: ولا يظلم الله أحدا، بل يجازى كلا بعمله.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)﴾.

يخبر تعالى عن حال السعداء فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾، وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال، ﴿فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أى: يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم، من أصناف الملاذ، من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك، ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أى: وقد نجاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة، التى فيها من السرور ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، كقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]. أى: هذا بذاك، تفضلا منه وإحسانا.

وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ قال الثورى، عن حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس: السرر فى الحجال.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا أبو اليمان، حدثنا صفوان بن عمرو؛ أنه سمع الهيثم بن

---

(١) فى م،أ: «المتحرك».

(٢) البيت فى تفسير الطبرى (٢٧/ ١٣).

(٣) فى أ: «فيها».

مالك الطائى يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله، يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه»(١).

وحدثنا أبى، حدثنا هُدْبَة بن خالد، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت قال: بلغنا أن الرجل ليتكئ فى الجنة سبعين سنة، عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم، فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك، فيقلن: قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيبا.

ومعنى ﴿ مَّصْفُوفَةٍ﴾ أى: وجوه بعضهم إلى بعض، كقوله: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الصافات: ٤٤]. ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أى: وجعلناهم قرينات صالحات، وزوجات حسانا من الحور العين.

وقال مجاهد: ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم﴾: أنكحناهم بحور عين، وقد تقدم وصفهن فى غير موضع بما أغنى عن إعادته.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) ﴾ .

يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه: أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم فى الإيمان يُلحقهم بآبائهم فى المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم فى منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذاك من عمله ومنزلته، للتساوى بينه وبين ذاك؛ ولهذا قال: ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾.

قال الثورى، عن عمرو بن مُرَّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن فى درجته، وإن كانوا دونه فى العمل، لتقر بهم عينه ثم قرأ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾.

رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سفيان الثورى، به. وكذا رواه ابن جرير من حديث شعبة عن عمرو بن مُرَّة به(٢). ورواه البزار، عن سهل بن بحر(٣)، عن الحسن بن حماد الوراق، عن قيس بن الربيع، عن عمرو بن مُرَّة، عن سعيد، عن ابن عباس مرفوعا، فذكره، ثم قال: وقد رواه

---

(١) وإسناده منقطع. الهيثم بن مالك لم يدرك النبى ﷺ.
(٢) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٥).
(٣) فى أ: «يحيى».

الثورى، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس موقوفا[١].

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد[٢] البيروتى، أخبرنى محمد بن شعيب[٣] أخبرنى شيبان، أخبرنى ليث، عن حبيب بن أبى ثابت الأسدى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فى قول الله، عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِم﴾ قال: هم ذرية المؤمن، يموتون على الإيمان: فإن كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بآبائهم، ولم ينقصوا من أعمالهم التى عملوا شيئا.

وقال الحافظ الطبرانى: حدثنا الحسين بن إسحاق التُّسْتَرِى، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غَزْوان، حدثنا شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ أظنه عن النبى ﷺ ـ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك. فيقول: يا رب، قد عملت لى ولهم. فيؤمر بإلحاقهم به، وقرأ ابن عباس: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ الآية[٤].

وقال العَوْفى، عن ابن عباس فى هذه الآية: يقول: والذين أدرك ذريتهم الإيمان فعملوا بطاعتى، أحلقتهم بإيمانهم إلى الجنة، وأولادهم الصغار تلحق بهم.

وهذا راجع إلى التفسير الأول، فإن ذاك مفسر أصرح من هذا. وهكذا يقول الشعبى، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، وقتادة، وأبو صالح، والربيع بن أنس، والضحاك، وابن زيد. وهو اختيار ابن جرير. وقد قال عبد الله بن الإمام أحمد:

حدثنا عثمان بن أبى شيبة، حدثنا حمد بن فُضَيْل، عن محمد بن عثمان، عن زاذان، عن على قال: سألتْ خديجة النبى ﷺ عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «هما فى النار». فلما رأى الكراهة فى وجهها قال: «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما». قالت: يا رسول الله، فولدى منك. قال: «فى الجنة». قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم فى الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِم﴾[الآية][٥] [٦].

هذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، فقد

---

(١) مسند البزار برقم (٢٢٦٠) «كشف الأستار» وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١١٤): «فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثورى، وفيه ضعف».

(٢) فى م، أ: «يزيد». (٣) فى م: «شعبة».

(٤) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١١/ ٤٤٠) حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان به.
ورواه فى المعجم الصغير برقم (٦٤٠) حدثنا عبد الله بن يزيد الدقيقى حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان به.
ولم أجد رواية الحسين بن إبراهيم التسترى.

(٥) زيادة من م.

(٦) زوائد عبد الله على المسند (١/ ١٣٤) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٢١٧): «فيه محمد بن عثمان ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح».

قال الإمام أحمد:

حدثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبى النَّجُود، عن أبى صالح، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول: يا رب، أنى لى هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»(١).

إسناده(٢) صحيح، ولم يخرجوه من هذا الوجه، ولكن له شاهد فى صحيح مسلم، عن أبى هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٣).

وقوله: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل، وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضى ذلك، أخبر عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحدا بذنب أحد، بل ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أى: مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أبا أو ابنا، كما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ . فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤١].

وقوله: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أى: وألحقناهم بفواكه ولحوم من أنواع شتى، مما يستطاب ويشتهى.

وقوله: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أى: يتعاطون فيها كأسا، أى: من الخمر. قاله الضحاك.

﴿لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ﴾ أى: لا يتكلمون عنها(٤) بكلام لاغ، أى: هَذَيَان، ولا إثم، أى: فُحْش، كما تتكلم به الشربة من أهل الدنيا.

وقال ابن عباس: اللغو: الباطل. والتأثيم: الكذب.

وقال مجاهد: لا يستبون ولا يؤثمون.

وقال قتادة: كان ذلك فى الدنيا مع الشيطان.

فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها، فنفى عنها ـ كما تقدم ـ صداع الرأس، ووجع البطن، وإزالة العقل بالكلية، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيئ الفارغ عن الفائدة المتضمن هَذَيَانا وفُحشا، وأخبر بحسن منظرها، وطيب طعمها ومخبرها فقال: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ . لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٦، ٤٧]، وقال: ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩]، وقال هاهنا: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ﴾.

---

(١) المسند (٢/ ٥٠٩).

(٢) فى م: «إسناد».

(٣) صحيح مسلم برقم (١٦٣١).

(٤) فى م: «فيها».

وقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾: إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب، المكنون في حسنهم وبهائهم[1] ونظافتهم وحسن ملابسهم، كما قال: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨].

وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحادث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم، ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: قد كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه، ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ أي: فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي: نتضرع إليه، فاستجاب [الله] [2]لنا وأعطانا سؤلنا، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

وقد ورد في هذا المقام حديث، رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده فقال: حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن دينار، حدثنا الربيع بن صبيح، عن الحسن، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان، فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا، فيتحدثان، فيتكئ هذا ويتكئ هذا، فيتحدثان بما كان في الدنيا، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان، تدري أي يوم غفر الله لنا؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله ـ عز وجل ـ فغفر لنا».

ثم قال البزار: لا نعرفه يُرْوَى إلا بهذا الإسناد[3].

قلت: وسعيد بن دينار الدمشقي قال أبو حاتم: هو مجهول، وشيخه الربيع بن صبيح قد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه، وهو رجل صالح ثقة في نفسه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأوْديّ، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة؛ أنها قرأت هذه الآية: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ . إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾، فقالت: اللهم مُنَّ علينا وقنا عذاب السموم، إنك أنت البر الرحيم. قيل للأعمش: في الصلاة؟ قال: نعم[4].

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)﴾.

---

(١) في م: «وبياضهم». (٢) زيادة من أ.

(٣) مسند البزار برقم (٣٥٥٣) «كشف الأستار» وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٢١): «رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن دينار، والربيع بن صبيح وهما ضعيفان وقد وثقا».

(٤) ورواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان كما في الدر المنثور للسيوطي (٧/ ٦٣٤).

يقول[١] تعالى آمراً رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بأن يبلغ رسالته إلى عباده، وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه. ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال: ﴿**فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ**﴾ أى: لست بحمد الله بكاهن كما تقوله[٢] الجهلة من كفار قريش. والكاهن: الذى يأتيه الرَّئى من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء، ﴿**وَلَا مَجْنُونٍ**﴾: وهو الذى يتخبطه الشيطان من المس.

ثم قال تعالى منكرا عليهم فى قولهم فى الرسول، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**﴾ أى: قوارع الدهر. والمنون: الموت: يقولون: ننظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ**﴾ أى: انتظروا فإنى منتظر معكم، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنّصرة فى الدنيا والآخرة.

قال محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبى نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: إن قريشا لما اجتمعوا فى دار الندوة فى أمر النبى ﷺ قال قائل منهم: احتبسوه[٣] فى وثاق، ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك، كما هلك من هلك قبله من الشعراء: زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم. فأنزل الله فى ذلك من قولهم: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**﴾[٤].

ثم قال تعالى: ﴿**أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا**﴾ أى: عقولهم تأمرهم بهذا الذى يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التى يعلمون فى أنفسهم أنها كذب وزور؟ ﴿**أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾ أى: ولكن هم قوم ضلال معاندون، فهذا هو الذى يحملهم على ما قالوه فيك.

وقوله: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ**﴾ أى: اختلقه وافتراه من عند نفسه، يعنون القرآن: قال الله: ﴿**بَل لَّا يُؤْمِنُونَ**﴾ أى: كفرهم هو الذى يحملهم[٥] على هذه المقالة. ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ أى: إن كانوا صادقين فى قولهم: «تَقوَّله وافتراه» فليأتوا بمثل ما جاء به محمد [ﷺ][٦] من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس، ما جاؤوا بمثله، ولا بعشر سور [من][٧] مثله، ولا بسورة من مثله.

﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ**

---

(١) فى م: «قال». (٢) فى م: «يقوله». (٣) فى أ: «احبسوه».

(٤) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٧/ ١٩) من طريق ابن إسحاق به.

(٥) فى م: «حملهم». (٦) زيادة من أ. (٧) زيادة من م.

الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)﴾ .

هذا المقام فى إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى: **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾** أى: أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أى: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذى خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا.

قال البخارى: حدثنا الحُمَيدىّ، حدثنا سفيان قال: حدثونى عن الزهرى، عن محمد بن جبير ابن مطعم، عن أبيه قال: سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ . أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾** كاد قلبى أن يطير[١].

وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من طرق، عن الزهرى، به[٢]. وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبى ﷺ بعد وقعة بدر فى فداء الأسارى، وكان إذ ذاك مشركا، وكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول فى الإسلام بعد ذلك.

ثم قال تعالى: **﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ﴾** أى: أهم خلقوا السموات والأرض؟ وهذا إنكار عليهم فى شركهم بالله، وهم يعلمون أنه الخالق وحده، لا شريك له. ولكن عدم إيقانهم هو الذى يحملهم على ذلك، **﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾** أى: أهم يتصرفون فى الملك وبيدهم مفاتيح الخزائن، **﴿أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾** أى: المحاسبون للخلائق، ليس الأمر كذلك، بل الله، عز وجل، هو المالك المتصرف الفعال لما يريد.

وقوله: **﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾** أى: مرقاة إلى الملأ الأعلى، **﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾** أى: فليأت الذى يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال، أى: وليس لهم سبيل إلى ذلك، فليسوا على شىء، ولا لهم دليل.

ثم قال منكرا عليهم فيما نسبوه إليه من البنات، وجعلهم الملائكة إناثا، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، بحيث إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم. هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله، وعبدوهم مع الله، فقال: **﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾**، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، **﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾** أى: أجرة على إبلاغك إياهم رسالة الله؟ أى: لست تسألهم على ذلك شيئا، **﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾** أى: فهم[٣] من أدنى شىء يتبرمون منه، ويثقلهم ويشق عليهم، **﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾** أى: ليس الأمر كذلك، فإنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله، **﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾** يقول تعالى: أم يريد هؤلاء بقولهم

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٨٥٤).

(٢) صحيح البخارى برقم (٧٦٥)، (٤٠٢٣) وصحيح مسلم برقم (٤٦٣).

(٣) فى م، أ: «فإنهم».

هذا فى الرسول وفى الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه، فكيدهم إنما يرجع وباله على أنفسهم، فالذين كفروا هم المكيدون، ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وهذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله. ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون، فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (٤٤) فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩) ﴾ .

يقول تعالى مخبرا عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا﴾ أى: عليهم يعذبون به، لما صدقوا ولما [(١)] أيقنوا، بل يقولون: هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ أى: متراكم. وهذه كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥]. قال الله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أى: دعهم ـ يا محمد ـ ﴿حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾، وذلك يوم القيامة، ﴿ يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ أى: لا ينفعهم كيدهم ومكرهم الذى استعملوه فى الدنيا، لا يُجدى عنهم يوم القيامة شيئا، ﴿وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

ثم قال: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أى: قبل ذلك فى الدار الدنيا، كقوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة: ٢١]، ولهذا قال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أى: نعذبهم فى الدنيا، ونبتليهم فيها بالمصائب، لعلهم يرجعون وينيبون[(٢)]، فلا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جلى عنهم مما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ[(٣)] ما كانوا عليه، كما جاء فى بعض الأحاديث: «إن المنافق إذا مرض وعوفى مثله فى ذلك كمثل البعير، لا يدرى فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه»[(٤)]. وفى الأثر الإلهى: كم أعصيك ولا تعاقبنى؟ قال الله: يا عبدى، كم أعافيك[(٥)] وأنت لا تدرى؟

وقوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أى: اصبر على أذاهم ولا تبالهم، فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من الناس.

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾: قال الضحاك: أى إلى الصلاة: سبحانك اللهم

---

(١) فى م: «ولا». (٢) فى أ: «ينسون». (٣) فى أ: «أشر».

(٤) رواه أبو داود فى السنن برقم (٣٠٨٩) من حديث عامر الرام رضى الله عنه.

(٥) فى م، أ: «أعاقبك».

وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك.

وقد روى مثله عن الربيع بن أنس،وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيرهما.

وروى مسلم فى صحيحه، عن عمر أنه كان يقول هذا فى ابتداء الصلاة[١]. ورواه أحمد وأهل السنن، عن أبى سعيد وغيره، عن النبى ﷺ أنه كان يقول ذلك[٢].

وقال أبو الجوزاء: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أى: من نومك من فراشك. واختاره ابن جرير: ويتأيد هذا القول بما رواه الإمام أحمد:

حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعى، حدثنى عُمَير[٣] بن هانئ، حدثنى جنادة بن أبى أمية، حدثنا عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لى ـ أو قال: ثم دعا ـ استجيب له، فإن عزم فتوضأ، ثم صلى تقبلت صلاته».

وأخرجه البخارى فى صحيحه، وأهل السنن، من حديث الوليد بن مسلم، به[٤].

وقال ابن أبى نَجيح، عن مجاهد: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال: من كل مجلس.

وقال الثورى، عن أبى إسحاق، عن أبى الأحوص: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال: إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال: سبحانك اللهم وبحمدك.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الدمشقى، حدثنا محمد ابن شعيب، أخبرنى طلحة بن عمرو الحضرمى، عن عطاء بن أبى رباح؛ أنه حدثه عن قول الله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، يقول: حين تقوم من كل مجلس، إن كنت أحسنت ازددت خيرا، وإن كان غير ذلك كان هذا كفارة له.

وقد قال عبد الرزاق فى جامعه: أخبرنا مَعْمَر، عن عبد الكريم الجَزَرى، عن أبى عثمان الفقير؛ أن جبريل علم النبى ﷺ إذا قام من مجلسه أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. قال مَعْمَر: وسمعت غيره يقول: هذا القول كفارة المجالس[٥].

وهذا مرسل، وقد وردت أحاديث مسندة من طرق ـ يقوى بعضها بعضا ـ بذلك، فمن ذلك حديث ابن جُرَيْج، عن سُهَيْل بن[٦] أبى صالح، عن أبيه، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال:

(١) صحيح مسلم برقم (٣٩٩).

(٢) المسند (٣/ ٥٠) وسنن أبى داود برقم (٧٧٥) وسنن الترمذى برقم (٢٤٢) وسنن النسائى (٢/ ١٣٢) وسنن ابن ماجه برقم (٨٠٤).

(٣) فى أ: «عمر».

(٤) المسند (٥/ ٣١٣) وصحيح البخارى برقم (١١٥٤) وسنن أبى داود برقم (٥٠٦٠) وسنن الترمذى برقم (٣٤١٤) والنسائى فى السنن الكبرى برقم (١٠٦٩٧) وسنن ابن ماجه برقم (٣٨٧٨).

(٥) المصنف برقم (١٩٧٩٦).

(٦) فى م: «عن».

«من جلس فى مجلس فكثر[١] فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر[٢] له ما كان فى مجلسه ذلك».

رواه الترمذى ـ وهذا لفظه ـ والنسائى فى اليوم والليلة، من حديث ابن جريج. وقال الترمذى: حسن صحيح. وأخرجه الحاكم فى مستدركه وقال: إسناد على شرط مسلم، إلا أن البخارى علله[٣].

قلت: علله الإمام أحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو حاتم، وأبو زُرَعة، والدارقطنى، وغيرهم. ونسبوا الوهم فيه إلى ابن جُرَيْج. على أن أبا داود قد رواه فى سننه من طريق غير[٤] ابن جريج إلى أبى هريرة، رضى الله عنه، عن النبى ﷺ بنحوه[٥]. ورواه أبو داود ـ واللفظ له ـ والنسائى، والحاكم فى المستدرك، من طريق الحجاج بن دينار، عن هاشم[٦]، عن أبى العالية، عن أبى بَرْزَة الأسلمى قال: كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك». فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى؟! قال: «كفارة لما يكون فى المجلس»[٧].

وقد روى مرسلا عن أبى العالية، والله[٨] أعلم. وهكذا رواه النسائى والحاكم، من حديث الربيع بن أنس، عن أبى العالية، عن رافع بن خَدِيج، عن النبى ﷺ مثله سواء[٩]. وروى مرسلا أيضا، والله أعلم. وكذا رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو؛ أنه قال: «كلمات لا يتلكم بهن أحد فى مجلسه عند قيامه ثلاث مرات، إلا كفر بهن عنه، ولا يقولهن فى مجلس خير ومجلس ذكر، إلا ختم له بهن كما يختم بالخاتم على الصحيفة: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[١٠]، وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة، وصححه، ومن رواية جُبَير بن مطعم[١١]. ورواه أبو بكر الإسماعيلى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، كلهم عن النبى ﷺ. وقد أفردت لذلك جزءا على حدة بذكر طرقه وألفاظه وعلله، وما يتعلق به، ولله الحمد والمنة[١٢].

وقوله: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ**﴾ أى: اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة فى الليل، كما قال: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٩].

---

(١) فى: «فأكثر». (٢) فى م، أ: «إلا غفر الله له».
(٣) سنن الترمذى برقم (٣٤٣٣) والنسائى فى السنن الكبرى برقم (١٠٢٣٠) والمستدرك (١/ ٥٣٦).
(٤) فى أ: «عن».
(٥) سنن أبى داود برقم (٤٨٥٨).
(٦) فى أ: «عن أبى هاشم».
(٧) سنن أبى داود برقم (٤٨٥٩) والنسائى فى السنن الكبرى برقم (١٠٢٥٩) والمستدرك (١/ ٥٣٧).
(٨) فى م: «فالله».
(٩) النسائى فى السنن الكبرى برقم (١٠٢٦٠) والمستدرك (١/ ٥٣٧).
(١٠) سنن أبى داود برقم (٤٨٥٧).
(١١) المستدرك (١/ ٥٣٧).
(١٢) وقد ذكرت أحاديث كفارة المجلس عند تفسير الصافات فى خاتمتها.

وقوله: ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾: قد تقدم فى حديث ابن عباس أنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر، فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم، أى: عند جنوحها للغيبوبة. وقد روى[1] [فى حديث][2] ابن سيلان، عن أبى هريرة مرفوعا: «لا تَدَعُوهما، وإن طردتكم الخيل». يعنى: ركعتى الفجر[3]، رواه أبو داود. ومن هذا الحديث حكى عن بعض أصحاب الإمام أحمد القول بوجوبهما، وهو ضعيف لحديث: «خمس صلوات فى اليوم والليلة». قال: هل على غيرها[4]؟ قال: «لا إلا أن تطوع»[5]. وقد ثبت فى الصحيحين عن عائشة، رضى الله عنها، أنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتى الفجر[6]. وفى لفظ لمسلم: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»[7].

آخر تفسير سورة الطور [والله أعلم][8]

(١) فى م، أ: «ورد».
(٢) زيادة من م، أ.
(٣) رواه أبو داود فى السنن برقم (١٢٥٨).
(٤) فى أ: «غيرهن».
(٥) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٤٦) ومسلم فى صحيحه برقم (١١) من حديث طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه.
(٦) صحيح البخارى برقم (١١٦٩) وصحيح مسلم برقم (٧٢٤).
(٧) صحيح مسلم برقم (٧٢٥).
(٨) زيادة من أ.

٥٢ ـ سورة الطور
(مكية وهي تسع وأربعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالطُّورِ ﴿١﴾ ٥٢ الطور

وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ ٥٢ الطور

فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ ٥٢ الطور

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ ٥٢ الطور

وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ ٥٢ الطور

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ٥٢ الطور

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ ٥٢ الطور

مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ٥٢ الطور

﴿سورة الطور مكية وآياتها تسع وأربعون﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والطور) الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل
٢ بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى (وكتاب مسطور) مكتوب على وجه الانتظام فإن السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ألواح موسى عليه السلام وهو الأنسب بالطور
٣ أو ما يكتب في اللوح أو ما يكتبه الحفظة (في رق منشور) الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما
٤ يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم أو للإشعار بأنهما ليسا مما يتعارفه الناس (والبيت المعمور) أي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين أو الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه
٥ كثرة غاشيته من الملائكة (والسقف المرفوع) أي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور
٦ (والبحر المسجور) أي المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد من قوله تعالى وإذا البحار سجرت فالمراد
٧ به الجنس روى أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة ناراً يسجر بها نار جهنم (إن عذاب ربك لواقع)
٨ أي لنازل حتماً جواب للقسم وقوله تعالى (ماله من دافع) إما خبر ثان لأن أو صفة لواقع ومن دافع إما مبتدأ للظرف أو مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الأمور بالإقسام بها لما أنها أمور عظام تنبىء عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على إحاطته تعالى بتفاصيل

يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ — ٥٢ الطور

وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ — ٥٢ الطور

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ — ٥٢ الطور

ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ — ٥٢ الطور

يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ — ٥٢ الطور

هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ — ٥٢ الطور

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ — ٥٢ الطور

ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ — ٥٢ الطور

أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق أخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى (يوم تمور السماء موراً) ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبيء عن كال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب وقيل هو تحرك في تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحا وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف أجزاؤها (وتسير الجبال سيراً) أي تزول عن وجه الأرض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما للإيذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة أي موراً عجيباً وسيراً بديعاً لا يدرك كنههما (فويل يومئذ للمكذبين) أي إذا وقع ذلك أو إذا كان الأمر كما ذكر فويل يوم إذ يقع ذلك لهم (الذين هم في خوض) أي اندفاع عجيب في الأباطيل والأكاذيب (يلعبون) يلهون (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) أي يدفعون إليها دفعاً عنيفاً شديداً بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار وقرىء يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم إما بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى (أفسحر هذا) توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحراً كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا أيضاً سحر وتقديم الخبر لأنه محط الإنكار ومدار التوبيخ (أم أنتم لا تبصرون) أي أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عمياً عن الخبر أو أم سدت أبصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا) أي ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ماشئتم من الصبر وعدمه (سواء عليكم) أي الأمران في عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تعالى (إنما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فإن الجزاء حيث كان واجب الوقوع

(Margin verse numbers: ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، *، ١٦، *، *)

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ ٥٢ الطور

فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ٥٢ الطور

كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ٥٢ الطور

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ٥٢ الطور

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ٥٢ الطور

---

١٧ حتماً كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع (إن المتقين فى جنات ونعيم) أى فى أية جنات وأى نعيم
١٨ على أن التنوين للتفخيم أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتنويع (فاكهين) ناعمين متلذذين
* (بما آتاهم ربهم) وقرىء فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر أو خبر آخر
* (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم على أن ما مصدرية أو على خبر إن أو حال بإضمار قد
إما من المستكن فى الخبر أو فى الحال وإما من فاعل آتى أو من مفعوله أو منهما وإظهار الرب فى
١٩ موقع الإضمار مضافاً إلى ضميرهم للتشريف والتعليل (كلوا وأشربوا) أى يقال لهم كلوا واشربوا
* أكلا وشراباً (هنيئاً) أو طعاماً وشراباً هنيئاً وهو الذى لاتنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه
٢٠ أو بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئاً أى هنا كم ما كنتم تعملون أى جزاؤه (متكين على سرر
* مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) وقرىء بحور عين على إضافة الموصوف إلى صفته بالتأويل
المشهور وقرىء بعين عين والباء مع أن التزويج مما يتعدى إلى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والإلصاق
٢١ أو للسببية إذ المعنى صيرناهم أزواجاً بسببهن فإن الزوجية لاتتحقق بدون انضمامهن إليهم وقوله تعالى (والذين
آمنوا) الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل الجنة إثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم
* ذريتهم فى الإيمان وهو مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله تعالى (واتبعتهم ذريتهم) عطف على آمنوا وقيل
* اعتراض وقوله تعالى (بإيمان) متعلق بالاتباع أى اتبعتهم ذريتهم بإيمان فى الجملة قاصر عن رتبة
إيمان الآباء واعتبار هذا القيد للإيذان بثبوت الحكم فى الإيمان الكامل أصالة لا إلحاقاً وقرىء
ذرياتهم للمبالغة فى الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرىء وأتبعناهم ذرياتهم أى جعلناهم تابعين لهم
* فى الإيمان وقرىء اتبعتهم (ألحقنا بهم ذريتهم) أى فى الدرجة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال
* إنه تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه لتقربهم عينه ثم تلا هذه الآية (وما ألتناهم)
* وما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق (من عملهم) من ثواب عملهم (من شىء) بأن أعطينا بعض مثوباتهم
أبناءهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وإنما رفعناهم إلى منزلتهم بمحض التفضل والإحسان وقرىء

وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ٥٢ الطور

يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ٥٢ الطور

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ٥٢ الطور

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ ٥٢ الطور

ألتناهم بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم والأول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم
من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور
والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وأخرى
بمؤانسة الإخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بإيمان متعلق بما بعده
أي بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها
تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم أو بسبب إيمان داني المنزلة وهو إيمان الذرية كأنه
قيل بشيء من الإيمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم (كل امرىء بما كسب رهين) قيل هو فعيل *
بمعنى مفعول والمعنى كل امرىء مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فإن عمله فكه وإلا أهلكه وقيل
بمعنى الفاعل والمعنى كل امرىء بما كسب راهن أي دائم ثابت وهذا أنسب بالمقام فإن الدوام يقتضي
عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها
(وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) وزدناهم على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتاً فوقتاً ما يشتهون ٢٢
من فنون النعماء وألوان الآلاء (يتنازعون فيها) أي يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق ٢٣
كما ينبىء عنه التعبير عن ذلك بالتنازع (كأساً) أي خمراً تسمية لها باسم محلها (لا لغو فيها) أي في *
شربها حيث لا يتكلمون في أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام (ولا تأثيم) ولا يفعلون ما يؤثم *
به فاعله أي ينسب إلى الإثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وإنما يتكلمون
بالحكم وأحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرىء لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح (ويطوف عليهم) ٢٤
أي بالكأس (غلمان لهم) أي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم (كأنهم لؤلؤ *
مكنون) مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالي القيمة قيل
لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن فضل
المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام إن أدنى
أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (وأقبل بعضهم على بعض ٢٥
يتساءلون) أي يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله وأعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤولا
لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً .

قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٥٢ الطور

فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ٥٢ الطور

إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ٥٢ الطور

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ ٥٢ الطور

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ٥٢ الطور

قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ ٥٢ الطور

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ٥٢ الطور

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ٥٢ الطور

---

٢٦ (قالوا) أى المسئولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة (إنا كنا قبل) أى فى الدنيا (فى أهلنا مشفقين)
٢٧ أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة
* أو التوفيق للحق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرىء ووقانا
٢٨ بالتشديد (إنا كنا من قبل) أى نعبده أو نسأله الوقاية (إنه هو البر) المحسن (الرحيم) الكثير الرحمة
٢٩ الذى إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب وقرىء أنه بالفتح بمعنى لأنه (فذكر) فاثبت على ما أنت عليه
من التذكير بما أنزل إليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من
* الأباطيل (فما أنت بنعمة ربك) بحمده وإنعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما
٣٠ يقولون قاتلهم الله أنى يؤفكون (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) وهو مايقلق النفوس
ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الأصل فعول من منه إذا قطعه لأن
٣١ الموت قطوع أى بل أيقولون ننتظر به نوائب الدهر (قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين) أتربص
٣٢ هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة بإهلاكهم (أم تأمرهم أحلامهم) أى عقولهم (بهذا)
أى بهذا التناقض فى المقال فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الأمور والمجنون المغطى عقله
مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء فى واحد وأمر
* الأحلام بذلك مجاز عن أدائها إليه (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لايحومون
الرشد والسداد ولذلك يقولون مايقولون من الأكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرىء
٣٣ بل هم (أم يقولون تقوله) أى اختلقه من تلقاء نفسه (بل لايؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون
بهذه الأباطيل التى لايخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا واحد من
العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم .

فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ٥۲ الطور

أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ٥۲ الطور

أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ٥۲ الطور

أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ٥۲ الطور

أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ٥۲ الطور

أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ ٥۲ الطور

أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ ٥۲ الطور

---

۳٤ (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى (إن كانوا صادقين) فيما زعموا فإن صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام فى البشرية والعربية مع مابهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والأيام ولا ريب فى أن القدرة على الشىء من موجبات الإتيان به ودواعى الأمر بذلك (أم خلقوا من غير شىء) أى أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع ۳٥ من غير محدث ومقدر وقيل أم خلقوا من أجل لا شىء من عبادة وجزاء (أم هم الخالقون) لأنفسهم * فلذلك لايعبدون الله سبحانه (أم خلقوا السموات والأرض بل لايوقنون) أى إذا سئلوا من خلقكم ۳٦ وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا وإلا لما أعرضوا عن عبادته (أم عندهم ۳۷ خزائن ربك) أى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا ويمسكوها عمن شاؤا أو عندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره (أم هم المسيطرون) أى الغالبون * على الأمور يدبرونها كيفما شاؤا حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم ومشيئتهم وقرىء المصيطرون بالصاد لمكان الطاء (أم لهم سلم) منصوب إلى السماء (يستمعون فيه) صاعدين إلى كلام ۳۸ الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من الأمور التى يتقولون فيها رجماً بالغيب ويعلقون بها أطماعهم الفارغة (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماعه (أم له البنات ۳۹ ولكم البنون) تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وإيذان بأن من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقى إلى عالم الملكوت والتطلع على الأسرار الغيبية والالتفات إلى الخطاب لتشديد مافى أم المنقطعة من الإنكار والتوبيخ (أم تسألهم أجراً) رجوع إلى خطابه عليه الصلاة والسلام وإعراض ٤٠ عنهم أى بل أتسألهم أجراً على تبليغ الرسالة (فهم) لذلك (من مغرم) من التزام غرامة فادحة (مثقلون) * محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك .

أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ ٥٢ الطور
أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ ٥٢ الطور
أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ٥٢ الطور
وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ ٥٢ الطور
فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ ٥٢ الطور
يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ٥٢ الطور
وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ «٤٧» ٥٢ الطور

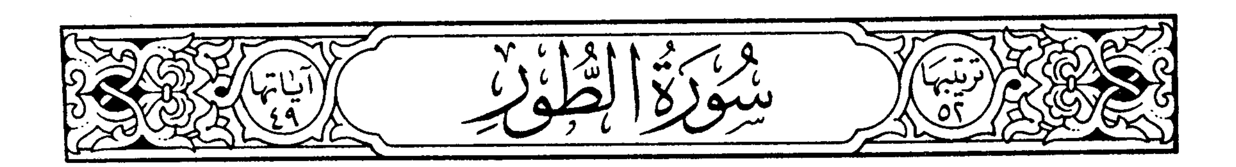
---

٤١ (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب (فهم يكتبون) ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك
٤٢ بنفى أو إثبات (أم يريدون كيداً) هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (فالذين كفروا) هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بمافى حيز الصلة من الكفر
* وتعليل الحكم به أو جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا أولياً (هم المكيدون) أىهم الذين يحيق بهم كيدهم أو يعود عليهم وباله لامن أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر أو هم المغلوبون فى
٤٣ الكيد من كايدته فكدته (أم لهم إله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون)
٤٤ أى عن إشراكهم أو عن شركة مايشركونه (وإن يروا كسفاً) قطعة (من السماء ساقطاً) لتعذيبهم
* (يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) أىهم فى الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً لقالوا هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا
٤٥ أنه كسف ساقطاً للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا) وقرىء حتى يلقوا (يومهم الذى فيه يصعقون) على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة أومن أصعقته وقرىء يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الأولى كما قيل إذ لا يصعق بها إلا من كان حياً حينئذ ولأن قوله
٤٦ تعالى (يوم لايغنى عنهم كيدهم شيئاً) أى شيئاً من الإغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعمالهم له طمعاً فى الانتفاع به وليس ذلك إلا ما دبروه فى أمره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذى من جملته مناصبتهم يوم بدر وأما النفخة الأولى فليست مما يجرى فى مدافعته
* الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ماتأباه الإضافة المنبئة عن اختصاصه بهم (ولا هم
٤٧ ينصرون) من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم (وإن للذين ظلموا) أى لهم ووضع الموصول
* موضع الضمير لما ذكر من قبل أى وإن لهؤلاء الظلمة (عذاباً) آخر (دون ذلك) دون مالاقوه من القتل أى قبله وهو القحط الذى أصابهم سبع سنين أو وراءه كما فى قوله [تريك القذى من دونها

وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ «٤٨» ٥٢ الطور

وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ «٤٩» ٥٢ الطور

وهو دونها] وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرىء دون ذلك قريباً (ولكن * أكثرهم لايعلمون) أن الأمر كما ذكر وفيه إشارة إلى أن فيهم من يعلم ذلك وإنما يصر على الكفر عناداً أولا يعلمون شيئاً أصلا (واصبر لحكم ربك) بإمهالهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم ٤٨ مع مقاساة الأحزان ومعاناة الهموم (فإنك بأعيننا) أى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك * وجمع العين لجمع الضمير والإيذان بغاية الاعتناء بالحفظ (وسبح) أى نزهه تعالى عما لايليق به ملتبساً * (بحمد ربك) على نعمائه الفائتة للحصر (حين تقوم) من أى مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء أى * قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) إفراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن ٤٩ العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل (وإدبار النجوم) أى وقت * إدبارها من آخر الليل أى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاءين وإدبار النجوم صلاة الفجر وقرىء وأدبار النجوم بالفتح أى فى أعقابها إذا غربت أو خفيت . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطور كان حقاً على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته .



«مكية» كما روي عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم ولم نقف على استثناء شيء منها، وهي تسع وأربعون آية في الكوفي والشامي، وثمان وأربعون في البصري، وسبع وأربعون في الحجازي، ومناسبة أولها لآخر ما قبلها اشتمال كل على الوعيد، وقال الجلال السيوطي: وجه وضعها بعد الذاريات تشابههما في المطلع والمقطع فإن في مطلع كل منهما صفة حال المتقين، وفي مقطع كل منهما صفة حال الكفار، ولا يخفى ما بين السورتين الكريمتين من الاشتراك في غير ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم وَٱلطُّورِ﴾ الطور اسم لكل جبل على ما قيل: في اللغة العربية عند الجمهور، وفي اللغة السريانية عند بعض، ورواه ابن المنذر وابن جرير عن مجاهد والمراد به هنا ﴿طور سنين﴾ [التين: ٢] الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عنده، ويقال له: طور سيناء أيضاً، والمعروف اليوم بذلك ما هو بقرب التيه بين مصر والعقبة، وقال أبو حيان في تفسير سورة «التين»: لم يختلف في طور سيناء أنه جبل بالشام وهو الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام، وقال في تفسيره: هذه السورة في الشام جبل يسمى الطور وهو طور سيناء فقال نوف

البكالي: إنه الذي أقسم الله سبحانه به لفضله على الجبال، قيل: وهو الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام انتهى فلا تغفل، وحكى الراغب أنه جبل محيط بالأرض ولا يصح عندي، وقيل: جبل من جبال الجنة، وروى فيه ابن مردويه عن أبي هريرة، وعن كثير بن عبد الله حديثاً مرفوعاً ولا أظن صحته، واستظهر أبو حيان أن المراد الجنس لا جبل معين، وروي ذلك عن مجاهد والكلبي والذي أعول عليه ما قدمته.

﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ مكتوب على وجه الانتظام فإن السطر ترتيب الحروف المكتوبة، والمراد به على ما قال الفراء الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال ويعطاه العبد يوم القيامة بيمينه أو بشماله وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ [الإسراء: ١٣]، وقال الكلبي: هو التوراة، وقيل: هي. والإنجيل. والزبور وقيل: القرآن، وقيل: اللوح المحفوظ، وفي البحر لا ينبغي أن يحمل شيء من هذه الأقوال على التعيين وإنما تورد على الاحتمال، والتنكير قيل: للإفراد نوعاً، وذلك على القول بتعدده، أو للإفراد شخصاً، وذلك على القول المقابل، وفائدته الدلالة على اختصاصه من جنس الكتب بأمر يتميز به عن سائرها، والأولى على وجهي التنكير إذا حمل على أحد الكتابين أعني القرآن والتوارة أن يكون من باب ﴿ليجزي قوماً﴾ [الجاثية: ١٤] ففي التنكير كمال التعريف، والتنبيه على أن ذلك الكتاب لا يخفى نكّر أو عرف، ومن هذا القبيل التنكير في قوله تعالى: ﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ والرق بالفتح ويكسر، وبه قرأ أبو السمال جلد رقيق يكتب فيه وجمعه رقوق وأصله على ما في مجمع البيان من اللمعان يقال: ترقرق الشيء إذا لمع. أو من الرقة ضد الصفاقة على ما قيل، وقد تجوز فيه عما يكتب فيه الكتاب من ألواح وغيرها. والمنشور المبسوط والوصف به قيل: للإشارة إلى صحة الكتاب وسلامته من الخطأ حيث جعل معرضاً لنظر كل ناظر آمناً عليه من الاعتراض لسلامته عما يوجبه، وقيل: هو لبيان حاله التي تضمنتها الآية المذكورة آنفاً بناءً على أن المراد به صحائف الأعمال ولبيان أنه ظهر للملائكة عليهم السلام يرجعون إليه بسهولة في أمورهم بناءً على أنه اللوح، أو للناس لا يمنعهم مانع عن مطالعته والاهتداء بهديه بناءً على الأقوال الأخر، وفي البحر ﴿منشور﴾ منسوخ ما بين المشرق والمغرب ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة كما أخرج ذلك ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس مرفوعاً.

وأخرج عبد الرزاق وجماعة عن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علياً كرم الله تعالى وجهه فقال: ذلك الضرَاحُ بيت فوق سبع سماوات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون ألف ملك الخ، وجاء في رواية عنه كرم الله تعالى وجهه، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه حيال الكعبة بحيث لو سقط سقط عليها.

وروي عن مجاهد وقتادة وابن زيد أن في كل سماء بحيال الكعبة بيتاً حرمته كحرمتها وعمارته بكثرة الواردين عليه من الملائكة عليهم السلام كما سمعت، وقال الحسن: هو الكعبة يعمره الله تعالى كل سنة بستمائة ألف من الناس فإن نقصوا أتم سبحانه العدد من الملائكة، وأنت تعلم أن من المجاز المشهور ـ مكان معمور ـ بمعنى مأهول مسكون يحل الناس في محل هو فيه، فعمارة الكعبة بالمجاورين عندها وبحجاجها صح خبر الحسن المذكور أم لا ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ أي السماء كما رواه جماعة، وصححه الحاكم عن الأمير كرم الله تعالى وجهه، وعن ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة، وأخرجه أبو الشيخ عن الربيع بن أنس، وعليه لا بأس في تفسير البيت المعمور بالسماء كما روي عن مجاهد، وعمارتها بالملائكة أيضاً فما فيها موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد أو قائم ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ أي الموقد ناراً.

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. وأبو الشيخ في العظمة عن سعيد بن المسيب قال: قال علي كرم الله تعالى وجهه لرجل من اليهود: أين موضع النار في كتابكم؟ قال: البحر فقال كرم الله تعالى وجهه: ما أراه إلا صادقاً، وقرأ ﴿**والبحر المسجور**﴾ ﴿وإذا البحار سجرت﴾ [التكوير: ٦] وبذلك قال مجاهد وشمر بن عطية والضحاك ومحمد بن كعب والأخفش، وقال قتادة: المسجور المملوء يقال: سجره أي ملأه، والمراد به عند جمع البحر المحيط، وقيل: بحر في السماء تحت العرش، وأخرج ذلك ابن أبي حاتم وغيره عن علي كرم الله تعالى وجهه وابن جرير عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وفي البحر أنهما قالا فيه ماء غليظ، ويقال له: بحر الحياة يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً فينبتون في قبورهم، وأخرج أبو الشيخ عن الربيع أنه الملأ الأعلى الذي تحت العرش وكأنه أراد به القضاء الواسع المملوء ملائكة، وعن ابن عباس «المسجور» الذي ذهب ماؤه، وروى ذو الرمة الشاعر، وليس له كما قيل حديث غير هذا عن الحبر قال: خرجت أمة لتستقي فقالت: إن الحوض مسجور أي فارغ فيكون من الاضداد، وحمل كلامه رضي الله تعالى عنه على إرادة البحر المعروف، وأن ذهاب مائه يوم القيامة، وفي رواية عنه أنه فسره بالمحبوس، ومنه ساجور الكلب وهي القلادة التي تمسكه وكأنه عنى المحبوس من أن يفيض فيغرق جميع الأرض، أو يغيض فتبقى الأرض خالية منه، وقيل ﴿**المسجور**﴾ المختلط، وهو نحو قولهم للخليل المخالط: سجير، وجعله الراغب من سجرت التنور لأنه سجير في مودّة صاحبه، والمراد بهذا الاختلاط تلاقي البحار بمياهها واختلاط بعضها ببعض، وعن الربيع اختلاط عذبها بملحها، وقيل: اختلاطها بحيوانات الماء، وقيل: المفجور أخذاً من قوله تعالى: ﴿وإذا البحار فجرت﴾ [الانفطار: ٣] ويحتمله ما أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس من تفسيره بالمرسل، وإذا اعتبر هذا مع ما تقدم عنه آنفاً من تفسيره بالمحبوس يكون من الاضداد أيضاً، وقال منبه بن سعيد، هو جهنم سميت بحراً لسعتها وتموأها، والجمهور على أن المراد به بحر الدنيا ـ وبه أقول ـ وبأن المسجور بمعنى الموقد، ووجه التناسب بين القرائن بعد تعين ما سيق له الكلام لائح، وهو ها هنا إثبات تأكيد عذاب الآخرة وتحقيق كينونته ووقوعه، فأقسم سبحانه له بأمور كلها دالة على كمال قدرته عز وجل مع كونها متعلقة بالمبدأ والمعاد، فالطور لأنه محل مكالمة موسى عليه السلام، ومهبط آيات البدء والمعاد يناسب حديث إثبات المعاد وكتاب الأعمال كذلك مع الإيماء إلى أن إيقاع العذاب عدل منه تعالى فقد تحقق، ودون في ﴿**الكتاب**﴾ ما يجر إليه قبل، ﴿**والبيت المعمور**﴾ لأنه مطاف الرسل السماوية، ومظهر لعظمته تعالى، ومحل لتقديسهم وتسبيحهم إياه جل وعلا، ﴿**والسقف المرفوع**﴾ لأنه مستقرهم ومنه تنزل الآيات، وفيه الجنة: ﴿**والبحر المسجور**﴾ لأنه محل النار، وإذا حمل الكتاب على التوراة كان التناسب مع ما قبله حسب النظر الجليل أظهر ولم يحمله عليها كثير لزعم أن ـ الرق المنشور ـ لا يناسبها لأنها كانت في الألواح، ولا يخفى عليك أن شيوع الرق فيما يكتب فيه الكتاب مطلقاً يضعف هذا الزعم في الجملة، ثم إن المعروف أن التوراة لا يكتبها اليهود اليوم إلا في ـ رق ـ وكأنهم أخذوا ذلك من أسلافهم، وقال الإمام: يحتمل أن تكون الحكمة في القسم ـ بالطور والبيت المعمور والبحر المسجور ـ أنها أماكن خلوة لثلاثة أنبياء مع ربهم سبحانه، أما الطور فلموسى عليه السلام وقد خاطب عنده ربه عز وجل بما خاطب، وأما البيت المعمور فلرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال عنده: «سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»؛ وأما البحر فليونس عليه السلام قال فيه: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] فلشرفها بذلك أقسم الله تعالى بها، وأما ذكر ﴿**الكتاب**﴾ فلأن الأنبياء كان لهم في هذه الأماكن كلام والكلام في الكتاب، وأما ذكر السقف المرفوع فلبيان رفعة البيت المعمور ليعلم عظمة شأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم ذكر وجهاً آخر، ولَعمري إنه لم يأت بشيء فيهما، والواو الاولى للقسم وما بعدها على

ما قال أبو حيان للعطف، والجملة المقسم عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ أي لكائن على شدّة كأنه مهيأ في مكان مرتفع فيقع على من يحل به من الكفار؛ وفي إضافته إلى الرب مع إضافة الرب إلى ضميره عليه الصلاة والسلام أمان له صلى الله تعالى عليه وسلم وإشارة إلى أن العذاب واقع بمن كذبه، وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما ـ واقع ـ بدون لام، وقوله تعالى: ﴿مَّا لَهُ من دَافع ﴾ خبر ثان ـ لأن ـ أو صفة ﴿لواقع ﴾ أو هو جملة معترضة، و ﴿من دافع ﴾ إما مبتدأ للظرف أم مرتفع به على الفاعلية، و ﴿من ﴾ مزيدة للتأكيد ولا يخفى ما في الكلام من تأكيد الحكم وتقريره؛ وقد روي أن عمر رضي الله تعالى عنه قرأ من أول السورة إلى هنا فبكى ثم بكى حتى عيد من وجعه وكان عشرين يوماً، وأخرج أحمد وسعيد بن منصور وابن سعد عن جبير بن مطعم قال: قدمت المدينة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأكلمه في أسارى بدر فدفعت إليه وهو يصلي بأصحابه صلاة المغرب فسمعته يقرأ ﴿والطور ﴾ إلى ﴿إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع ﴾ فكأنما صدع قلبي، وفي رواية فأسلمت خوفاً من نزول العذاب وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب، وهو لا يأتي أن يكون المراد الوقوع يوم القيامة «ومن غريب ما يحكى» أن شخصاً رأى مكتوباً في كفه خمس واوات فعبرت له بخير فسأل ابن سيرين فقال: تهيأ لما لا يسر فقال له: من أين أخذت هذا؟ فقال: من قوله عز وجل: ﴿والطور ﴾ إلى ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ فما مضى يومان أو ثلاثة حتى أحيط بذلك الشخص، وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَاءُ مَوْراً ﴾ منصوب على الظرفية[1] وناصبه ﴿واقع﴾ أو ﴿دافع ﴾ أو معنى النفي وإبهام أنه لا ينتفي دفعه غير ذلك اليوم بناءً على اعتبار المفهوم لا ضير فيه لعدم مخالفته للواقع لأنه تعالى أمهلهم في الدنيا وما أهملهم، ومنع مكي أن يعمل فيه ـ واقع ـ ولم يذكر دليل المنع ولا دليل له فيما يظهر، ومعنى ﴿تمور ﴾ تضطرب كما قال ابن عباس أي ترتج وهي في مكانها، وفي رواية عنه تشقق، وقال مجاهد: تدور، وأصل المور التردد في المجيء والذهاب، وقيل: التحرك في تموج، وقيل: الجريان السريع، ويقال للجري مطلقاً وأنشدوا للأعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مور السحابة لا ريث ولا عجل

﴿وَتَسِيرُ ٱلجِبَالُ سَيْراً ﴾ عن وجه الارض فتكون هباءً منبثّاً، والإتيان بالمصدرين الإيذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة أي موراً عجيباً وسيراً بديعاً لا يدرك كنههما ﴿فَوَيلٌ يَوْمَئذ ﴾ أي إذا وقع ذلك[2] أو إذا كان الامر كما ذكر فويل يوم إذ يقع ذلك ﴿لِّلْمُكَذِّبِينَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْض يَلْعَبُونَ ﴾ أي في اندفاع عجيب في الأباطيل والأكاذيب يلهون، وأصل الخوض المشي في الماء ثم تجوز فيه عن الشروع في كل شيء وغلب في الخوض في الباطر كالإحضار عام في كل شيء ثم غلب استعماله في الاحضار للعذاب.

﴿يَوْمَ يُدعونَ إلى نَار جَهَنَّم دعّاً ﴾ أي يدفعون دفعاً عنيفاً شديداً بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار ويطرحون فيها، وقرأ زيد بن علي والسيلمي وأبو رجاء «يُدْعَوْنَ» بسكون الدال وفتح العين من الدعاء فيكون ﴿دعاً ﴾ حالاً أي ينادون إليها مدعوعين[3] و ﴿يوم ﴾ إما بدل من يوم ﴿تمور ﴾ أو ظرف لقول مقدر محكي به قوله تعالى: ﴿هٰذه ٱلنَّارُ ٱلَّتي كُنتُم بها تُكَذِّبُونَ ﴾ أي فيقال لهم ذلك ﴿يوم ﴾ الخ،

---

(١) لأنه مفعول فيه.

(٢) يشير إلى أن الفاء فصيحة في جواب شرط مقدر. اهـ.

(٣) الحال مقدرة لأن الدفع بعد الدعوة، وقيل: إنها مقارنة بإجراء قرب الوقوع مجرى المقارنة؛ وفيه نظر.

ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها، وقوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحراً كأنه قيل: كنتم تقولون للوحي الذي أنذركم بهذا سحراً أفهذا المصدق له سحر أيضاً وتقديم الخبر لأنه المقصود بالإنكار والمدار للتوبيخ.

﴿أَمْ أَنتُمْ لا تُبصِرُونَ﴾ أي أم أنتم عمي عن المخبر به كما كنتم في الدنيا عمياً عن الخبر والفاء مؤذنة بما ذكر وذلك لأنها لما كانت تقتضي معطوفاً عليه يصح ترتب الجملة أعني سحر هذا عليه وكانت هذا جملة واردة تقريعاً مثل هذا النار الخ لم يكن بد من تقدير ذلك على وجه يصح الترتب ويكون مدلولاً عليه من السياق فقدّر كنتم تقولون إلى آخره، ودل عليه قوله تعالى: ﴿في خوض يلعبون﴾ وقوله سبحانه: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ وفي الكشف إن هذا نظير ما تستدل بحجة فيقول الخصم: هذا باطل فتأتي بحجة أوضح من الأول مسكتة وتقول: أفباطل هذا؟! تعيره بالإلزام بأن مقالته الأولى كانت باطلة، وفي مثله جاز أن يقدر القول على معنى أفتقول باطل هذا وأن لا يقدر لابتنائه على كلام الخصم وهذا أبلغ، و ﴿أم﴾ كما هو الظاهر منقطعة، وفي البحر لما قيل لهم: هذه النار وقفوا على الجهتين اللتين يمكن منهما دخول الشك في أنها النار وهي إما أن يكون ثمّ سحر يلبس ذات المرأى، وإما أن يكون في ناظر الناظر اختلال، والظاهر أنه جعل ﴿أم﴾ معادلة والأول أبعد مغزى.

﴿آصلَوْهَا فَٱصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا﴾ أي ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي الأمران سواء عليكم في عدم النفع إذ كل لا يدفع العذاب ولا يخففه ـ فسواء ـ خبر مبتدأ محذوف وصح الإخبار به عن المثنى لأنه مصدر في الأصل، وجوز كونه مبتدأ محذوف الخبر وليس بذاك، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعمَلُونَ﴾ تعليل للاستواء فإن الجزاء حيث كان متحتم الوقوع لسبق الوعيد به وقضائه سبحانه إياه بمقتضى عدله كان الصبر وعدمه مستويين في عدم النفع.

﴿إِنَّ ٱلمُتَّقِينَ فِي جَنَّات ونَعِيم﴾ شروع في ذكر حال المؤمنين بعد ذكر حال الكافرين كما هو عادة القرآن الجليل في الترهيب والترغيب، وجوز أن يكون من جملة المقبول للكفار إذ ذاك زيادة في غمهم وتنكيدهم والأول أظهر، والتنوين في الموضعين للتعظيم أي في جنات عظيمة ونعيم عظيم، وجوز أن يكون للنوعية أي نوع من الجنات ونوع من النعيم مخصوصين بهم وكونه عوضاً عن المضاف إليه أي جناتهم ونعيمهم ليس بالقوي كما لا يخفى.

﴿فَاكهين﴾ متلذذين ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من الإحسان، وقرىء ـ فكهين ـ بلا ألف، ونصبه في القراءتين على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور أعني من جنات الواقع خبراً لأن، وقرأ خالد ـ فاكهون ـ بالرفع على أنه الخبر، وفي جنات متعلق به لكنه قدم عليه للاهتمام، ومن أجاز بعدد الخبر أجاز أن يكون خبراً بعد خبر ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ ٱلجَحِيم﴾ عطف على «في جنات» على تقدير كونه خبراً كأنه قيل: استقروا ﴿في جنات﴾ ﴿ووقاهم ربهم﴾ الخ، أو على ﴿أتاهم﴾ إن جعلت ﴿ما﴾ مصدرية أي فاكهين بإيتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم، ولم يجوز كثير عطفه عليه إن جعلت موصولة إذ يكون التقدير فاكهين بالذي وقاهم ربهم فلا يكون راجع إلى الموصول، وجوزه بعض بتقدير الراجع أي وقاهم به على أن الباء للملابسة، وفي الكشف لم يحمل على حذف الراجع لكثرة الحذف ولو درج نصاً. والفعل من المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل وهو مسموع عند بعضهم، ولا يخفى أنه وجه سديد أيضاً، والمعنى عليه أسد لأن الفكاهة تلذذ يشتغل به صاحبه والتلذذ بالإيتاء يحتمل التجدد باعتبار تعدد المؤتى إما بالوقاية أي على تقدير المصدرية فلا، وأقول لعله هو المنساق إلى الذهن، وجوز أن يكون حالاً بتقدير قد أو بدونه إما من المستكن في الخبر أو في الحال. وإما من فاعل آتى أو من مفعوله. أو منهما، وإظهار الرب في موقع

الإضمار مضافاً إلى ضميرهم للتشريف والتعليل. وقرأ أبو حيوة «وَقَّاهُمْ» بتشديد القاف ﴿كُلوا وٱشْرَبُوا هنيئاً﴾ أي يقال لهم ﴿كلوا واشربوا﴾ أكلاً وشرباً هنيئاً، أو طعاماً وشراباً هنيئاً، فالكلام بتقدير القول: و ﴿هنيئاً﴾ نصب على المصدرية لأنه صفة مصدر. أو على أنه مفعول به، وأياً مّا كان فقد تنازعه الفعلان، والهنيء كل ما لا يلحق فيه مشقة ولا يعقب وخامه ﴿بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ أي بسببه أو بمقابلته والباء عليهما متعلق ـ بكلوا واشربوا، على التنازع، وجوز الزمخشري كونها زائدة وما بعدها فاعل هنيئاً كما في قول كثير:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت(١)

فإن ما فيه فاعل هنيئاً على أنه صفة في الأصل بمعنى المصدر المحذوف فعله وجوباً لكثرة الاستعمال كأنه قيل: هنؤ لعزة المستحل من أعراضنا، وحينئذ كما يجوز أن يجعل ما هنا فاعلاً على زيادة الباء على معنى هنأكم ما كنتم تعملون يجوز أن يجعل الفاعل مضمراً راجعاً إلى الأكل أو الشرب المدلول عليه بفعله، وفيه أن الزيادة في الفاعل لم تثبت سماعاً في السعة في غير فاعل كفى على خلاف ولا هي قياسية في مثل هذا ومع ذلك يحتاج الكلام إلى تقدير مضاف أي جزاء ما كنتم الخ، وفيه نوع تكلف ﴿مُتَّكِئِين﴾ نصب على الحال قال أبو البقاء: من الضمير في ﴿كلوا﴾ أو في ﴿وقاهم﴾ أو في ﴿آتاهم﴾ أو في ﴿فاكهين﴾ أو في الظرف يعني في جنات، واستظهر أبو حيان الأخير ﴿عَلَىٰ سرُر﴾ جمع سرير معروف، ويجمع على أسرّة وهو من السرور إذ كان لأولي النعمة، وتسمية سرير الميت به للتفاؤل بالسرور الذي يلحق الميت برجوعه إلى جوار الله تعالى وخلاصه من سجن الدنيا، وقرأ أبو السمال سرر بفتح الراء وهي لغة لكلب في المضعف فراراً من توالي ضمتين مع التضعيف.

﴿مَّصْفُوفَة﴾ مجعولة على صف وخط مستو ﴿وَزَوَّجْناهُم بحُور عين﴾ أي قرناهم بهن ـ قاله الراغب ـ ثم قال: ولم يجيء في القرآن زوجناهم حوراً كما يقال زوجته امرأة تنبيهاً على أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا من المناكحة، وقال الفراء: تزوجت بامرأة لغة أزد شنوءة، والمشهور أن التزوج متعد إلى مفعول واحد بنفسه والتزويج متعد بنفسه إلى مفعولين، وقيل: فيما هنا أن الباء لتضمين الفعل معنى القرآن أو الإلصاق، واعترض بأنه يقتضي معنى التزويج بالعقد وهو لا يناسب المقام إذ العقد لا يكون في الجنة لأنها ليست دار تكليف أو أنها للسببية والتزويج ليس بمعنى الإنكاح بل بمعنى تصييرهم زوجين زوجين أي صيرناهم كذلك بسبب حور عين، وقرأ عكرمة بحور عين على إضافة الموصوف إلى صفته بالتأويل المشهور، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذينَ آمنوا﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل الجنة إثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم في الإيمان، والموصول مبتدأ خبره ألحقنا بهم، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُم ذُرِّيَّتُهُم﴾ عطف على آمنوا، وقيل اعتراض للتعليل، وقوله تعالى: ﴿بِإِيمان﴾ متعلق بالاتباع أي أتبعتهم ذريتهم بإيمان في الجملة قاصر عن رتبة إيمان الآباء إما بنفسه بناءً على تفاوت مراتب نفس الإيمان، وإما باعتبار عدم انضمام أعمال مثل أعمال الآباء اليه، واعتبار هذا القيد للإيذان بثبوت الحكم في الإيمان الكامل أصالة لا إلحاقاً قيل: هو حال من الذرية، وقيل: من الضمير وتنوينه للتعظيم، وقيل: منهما وتنوينه للتنكير

---

(١) هذا البيت من قصيدة مشهورة لكثير أولها

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم احللا حيث حلت

قيل كان كثير في حلقة البصرة ينشد أشعاره فمرت به عزة مع زوجها فقال لها: أغضبيه فاستحيت من ذلك فقال لتغضبنه أو لأضربنك فدنت من الحلقة فأغضبته، وذلك أن قالت: هذا وهذا بفم الشاعر فقال ذلك.

والمعول عليه ما قدمنا ﴿ألحقنا بهم ذُرِّيَّتهم﴾ في الدرجة. أخرج سعيد بن منصور وهناد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في سننه عن ابن عباس قال: «إن الله تعالى ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ الآية» وأخرجه البزار وابن مردويه عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي رواية ابن مردويه والطبرائي عنه أنه قال: «إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال له: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به» وقرأ ابن عباس الآية، وظاهر الاخبار أن المراد بإلحاقهم بهم إسكانهم معهم لا مجرد رفعهم إليهم واتصاله بهم أحياناً ولو للزيارة. وثبوت ذلك على العموم لا يبعد من فضل الله عز وجل، وما قيل: لعله مخصوص ببعض دون بعض تحجير لإحسانه الواسع جل شأنه، وقد يستأنس للتخصيص بما روي عن ابن عباس إن الذين آمنوا المهاجرون والأنصار، والذرية التابعون لكن لا أظن صحته ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم﴾ أي وما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق ﴿مِنْ عَمَلِهِم﴾ أي من ثواب عملهم ﴿من شَيء﴾ أي شيئاً بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبناءهم فتنقص مثوباتهم وتنحط درجتهم وإنما رفعناهم إلى منزلتهم بمحض التفضل والإحسان، وقال ابن زيد ـ الضمير عائد على الأبناء أي وما نقصنا الأبناء الملحقين من جزاء عملهم الحسن والقبيح شيئاً بل فعلنا ذلك بهم بعد مجازاتهم بأعمالهم كملاً ـ وليس بشيء وإن قال أبو حيان يحسن هذا الاحتمال قوله تعالى: ﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾ وإلى الأول ذهب ابن عباس وابن جبير والجمهور والآية على ما ذهب إليه المعظم في الكبار من الذرية، وقال منذر بن سعيد: هي في الصغار.

وروي عن الحبر والضحاك أنهما قالا: إن الله تعالى يلحق الأبناء الصغار وإن لم يبلغوا زمن الإيمان بآبائهم المؤمنين، وجعل بإيمان عليه متعلقاً بألحقنا أي ألحقنا بسبب إيمان الآباء بهم ذريتهم الصغار الذين ماتوا ولم يبلغوا التكليف فهم في الجنة مع آبائهم قيل: وكأن من يقول بذلك يفسر ﴿اتبعتهم ذريتهم﴾ بماتوا ودرجوا على أثرهم قبل أن يبلغوا الحلم، وجوز أن يتعلق بإيمان باتبعتهم على معنى اتبعوهم بهذا الوصف بأن حكم لهم به تبعاً لآبائهم فكانوا مؤمنين حكماً لصغرهم وإيمان آبائهم، والصغير يحكم بإيمانه تبعاً لأحد أبويه المؤمن والكل كما ترى، وقيل: الموصول معطوف على حور، والمعنى قرنّاهم بالحور وبالذين آمنوا أي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور؛ وأخرى بمؤانسة الإخوان المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿واتبعتهم﴾ عطف على ﴿زوجناهم﴾ وقوله سبحانه: ﴿بإيمان﴾ متعلق بما بعده أي بسبب إيمان عظيم رفيع المحل، وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلاً عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم، أو بسبب إيمان داني المنزلة وهو إيمان الذرية كأنه قيل: بشيء من الإيمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم، وصنيع الزمخشري ظاهر في اختيار العطف على حور فقد ذكره وجهاً أول، وتعقبه أبو حيان بأنه لا يتخيل ذلك أحد غير هذا الرجل، وهو تخيل أعجمي مخالف لفهم العربي القح كابن عباس وغيره، وقيل عليه: إنه تعصب منه، والإنصاف أن المتبادر الاستئناف، وإن أحسن الأوجه في الآية وأوفقه للمقام ما تقدم.

وقرأ أبو عمرو «وأَتْبَعْناهُمْ» بقطع الهمزة وفتحها، وإسكان التاء، ونون بعد العين وألف بعدها أي جعلناهم تابعين لهم في الإيمان، وقرأ أيضاً ذرياتهم جمعاً نصباً، وابن عامر كذلك رفعاً، وقرأ «ذِرِّيَّاتَهِم» بكسر الذال «واتبعتهم ذريتهم» بتاء الفاعل، ونصب ذريتهم على المفعولية، وقرأ الحسن وابن كثير «أَلِتْنَاهُم» بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم، وعلى قراءة الجمهور من باب ضرب يضرب، وابن هرمز آلتناهم بالمدمن آلت يؤلت، وابن مسعود وأبيّ لتناهم من لات يليت وهي قراءة طلحة والأعمش، ورويت عن شبل وابن كثير، وعن طلحة والأعمش أيضاً ـ لتناهم ـ بفتح

اللام، قال سهل: لا يجوز فتح اللام من غير ألف بحال وأنكر أيضاً آلتناهم بالمد، وقال: لا يروى عن أحد ولا يدل عليه تفسير ولا عربية ـ وليس كما قال ـ بل نقل أهل اللغة آلت بالمد كما قرأ هرمز، وقرىء وما ولتناهم من ولت يلت، ومعنى الكل واحد، وجاء ألت بمعنى غلظ يروى أن رجلاً قام إلى عمر رضي الله تعالى عنه فوعظه فقال: لا تألت على أمير المؤمنين أي لا تغلظ عليه ﴿كُلُّ آمْرِىءِ بِمَا كَسَبَ﴾ أي بكسبه وعمله ﴿رَهِينٌ﴾ أي مرهون عند الله كأن الكسب بمنزلة الدين ونفس العبد بمنزلة الرهن ولا ينفك الرهن ما لم يؤد الدين فإن كان العمل صالحاً فقد أدى لأن العمل الصالح يقبله ربه سبحانه ويصعد إليه عز وجل وإن كان غير ذلك فلا أداء فلا خلاص إذ لا يصعد إليه سبحانه غير الطيب، ولذا قال جل وعلا: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩] فإن المراد كل نفس رهن بكسبها عند الله تعالى غير مفكوك إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم.

ووجه الاتصال على هذا أنه سبحانه لما ذكر حال المتقين وأنه عز وجل وفر عليهم ما أعده لهم من الثواب والتفضل عقب بذلك الكلام ليدل على أنهم فكوا رقابهم وخلصوها وغيرهم بقي معذباً لأنه لم يفك رقبته، وكان موضعه من حيث الظاهر أن يكون عقيب قوله تعالى: ﴿هو البرّ الرحيم﴾ [الطور: ٢٨] ليكون كلاماً راجعاً إلى حال الفريقين ـ المدعوين. والمتقين ـ وإنما جعل متخللاً بين أجزية المتقين عقيب ذكر توفير ما أعدّ لهم، قال في الكشف: ليدل على أن الخلاص من بعض أجزيتهم أيضاً ويلزم أن عدم الخلاص جزاء المقابلين من طريق الإيماء وموقعه موقع الاعتراض تحقيقاً لتوفير ما عدد لأنه إنما يكون بعد الخلاص، وفيه إيماء إلى أن إلحاق الأبناء إنما كان تفضلاً على الآباء لا على الأبناء ابتداءً لأن التفضل فرع الفك وهؤلاء هم الذين فكوا فاستحقوا التفضل، وجعله استئنافاً بيانياً لهذا المعنى كما فعل الطيبي بعيد، وقيل: ﴿رهين﴾ فعيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرىء بما كسب راهن أي دائم ثابت، وفي الإرشاد أنه أنسب بالمقام فإن الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله، ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شيء، فالجملة تعليل لما قبلها، وأنت تعلم أن فعيلا بمعنى المفعول أسرع تبادراً إلى الذهن فاعتباره أولى ووجه الاتصال عليه أوفق وألطف كما لا يخفى.

وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۜيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ

ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي وزدناهم على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتاً فوقتاً مما يشتهون من فنون النعماء وألوان الآلاء، وأصل المدّ الجر، ومنه المدّة للوقت الممتد ثم شاعر في الزيادة، وغلب الإمداد في المحبوب، والمدّ في المكروه وكونه وقتاً بعد وقت مفهوم المدّ نفسه **﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً﴾** أي يتجاذبونها في الجنة هم وجلساؤهم تجاذب ملاعبة كما يفعل ذلك الندامى بينهم في الدنيا لشدة سرورهم قال الأخطل:

نازعته طيب الراح الشمول وقد ... صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

وقيل: التنازع مجاز عن التعاطي، والكأس مؤنث سماعي كالخمر، ولا تسمى كأساً على المشهور إلا إذا امتلأت خمراً أو كانت قريبة من الامتلاء، وقد تطلق على الخمر نفسها مجازاً لعلاقة المجاورة، وقال الراغب: الكأس الإناء بما فيه من الشراب ويسمى كل واحد منهما بانفراده كأساً، وفسرها بعضهم هنا بالإناء بما فيه من الخمر، وبعضهم بالخمر، والاول أوفق بالتجاذب، والثاني بقوله سبحانه: **﴿لا لَغْوٌ فِيهَا﴾** أي في شربها حيث لا يتكلمون في أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام **﴿وَلا تَأْثِيمٌ﴾** ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أي ينسب إلى الإثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن الندامى في الدنيا وإنما يتكلمون بالحكم وأحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «لا لَغْوَ» «ولا تَأْثِيمَ» بفتحهما **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾** أي بالكأس **﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾** أي مماليك مختصون بهم كما يؤذن به اللام ولم يقل غلمانهم بالإضافة لئلا يتوهم أنهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشفق كل من خدم أحداً في الدنيا أن يكون خادماً له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعاً، وقيل: أولادهم الذين سبقوهم فالاختصاص بالولادة لا بالملك، وفيه أن التعبير عنهم بالغلمان غير مناسب وكذا نسبة الخدمة إلى الاولاد لا تناسب مقام الامتنان **﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾** مصون في الصدف لم تنله الأيدي ـ كما قال ابن جبير ـ ووجه الشبه البياض والصفاء، وجوز أن يراد بمكنون مخزون لأنه لا يخزن إلا الحسن الغالي الثمن، أخرج عبد الرزاق ابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال: «بلغني أنه قيل: يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ فكيف بالمخدوم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده إن فضل ما بينهم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» وروي «أن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيء ألف ببابه لبيك لبيك».

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ﴾ أي يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله وأعماله فيكون كل بعض سائلاً ومسؤولاً لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً ثم هذا التساؤل في الجنة كما هو الظاهر. وحكى الطبري عن ابن عباس أنه إذا بعثوا في النفخة الثانية ولا أراه يصح عنه لبعده جداً **﴿قَالُوا﴾** أي المسؤولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة **﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾** أي قبل هذا الحال **﴿فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾** أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله عز وجل معتنين بطاعته سبحانه، أو وجلين من العاقبة، و **﴿فِي أَهْلِنَا﴾** قيل: يحتمل أنه كناية عن كون ذلك في الدنيا، ويحتمل أن يكون بياناً لكون إشفاقهم كان فيهم وفي أهلهم لتبعيتهم لهم في العادة ويكون قوله تعالى: **﴿فَمَنَّ**

الله عَلَيْنَا ﴾ أي بالرحمة والتوفيق ﴿**وَوَقَانَا عَذَابَ ٱلسَّمُوم** ﴾ أي عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وهو الريح الحارة المعروفة، ووجه الشبه وإن كان في النار أقوى لكنه في ريح السموم لمشاهدته في الدنيا أعرف فلذا جعل مشبهاً به، وقال الحسن: ﴿**السموم** ﴾ اسم من أسماء جهنم عاماً لهم ولأهلهم، فالمراد بيان ما منّ الله تعالى به عليهم من اتباع أهليهم لهم، وقيل: ذكر ﴿**في أهلنا** ﴾ لإثبات خوفهم في سائر الأوقات والأحوال بطريق الأولى فإن كونهم بين أهليهم مظنة الأمن ولا أرى فيه بأساً، نعم كون ذلك لأن السؤال عما اختصوا به من الكرامة دون أهليهم ليست بشيء، وقيل: لعل الاولى أن يجعل ذلك إشارة إلى الشفقة على خلق الله تعالى كما أن قوله عز وجل: ﴿**إِنَّا كُنَّا من قَبْلُ نَدْعوهُ**﴾ إلى آخره إشارة إلى التعظيم لأمر الله تعالى وترك العاطف بجعل الثاني بياناً للأول ادعاءً للمبالغة في وجوب عدم انفكاك كل منهما للآخر ولا يخفى ما فيه، والذي يظهر أن هذا إشارة إلى الرجاء وترك العطف لقصد تعداد ما كانوا عليه أي إنا كنا من قبل ذلك نعبده تعالى ونسأله الوقاية ﴿**إِنَّه هُوَ ٱلبَرُّ** ﴾ أي المحسن ما يدل عليه اشتقاقه من البر بسائر مواده لأنها ترجع إلى الإحسان ـ كبرّ في يمينه ـ أي صدق لأن الصدق إحسان في ذاته ويلزمه الإحسان للغير، وأبرّ الله تعالى حجه أي قبله لأن القبول إحسان وزيادة، وأبرّ فلان على أصحابه أي علاهم لأنه غالباً ينشأ عن الإحسان لهم فتفسيره باللطيف كما روي عن ابن عباس، أو العالي في صفاته، أو خالق البرّ، أو الصادق فيما وعد أولياءه كما روي عن ابن جريج بعيد إلا أن يراد بعض ما صدقات، أو غايات ذلك البر؟ ﴿**ٱلرَّحِيمُ** ﴾ الكثير الرحمة الذي إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب، وقرأ أبو حيوة «وَوَقَّانا» بتشديد القاف، والحسن وأبو جعفر ونافع والكسائي «أَنَّهُ» بفتح الهمزة لتقدير لام الجر التعليلية قبلها أي لأنه ﴿**فَذَكِّرْ**﴾ فاثبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل عليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الأباطيل.

﴿**فَمَا أَنتَ بنعمة رَبِّكَ بِكاهن** ﴾ هو الذي يخبر بالغيب بضرب من الظن، وخص الراغب الكاهن بمن يخبر بالأخبار الماضية الخفية كذلك، والعرّاف بمن يخبر بالأخبار المستقبله كذلك، والمشهور في الكهانة الاستمداد من الجن في الإخبار عن الغيب، والباء في ﴿**بكاهن** ﴾ مزيدة للتأكيد أي ما أنت كاهن ﴿**وَلا مجْنُون** ﴾ واختلف في باء ﴿**بنعمة** ﴾ فقال أبو البقاء: للملابسة، والجار والمجرور في موضع الحال والعامل فيه كاهن، أو مجنون، والتقدير ما أنت كاهن ولا مجنون ملتبساً بنعمة ربك وهي حال لازمة لأنه عليه الصلاة والسلام ما زال ملتبساً بنعمة ربه عز وجل، وقيل: للقسم فنعمة ربك مقسم به، وجواب القسم ما علم من الكلام وهو ـ ما أنت بكاهن ولا مجنون ـ وهذا كما تقول: ما زيد والله بقائم وهو بعيد، والأقرب عندي أن الباء للسببية وهو متعلق بمضمون الكلام، والمعنى انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله تعالى عليك، وهذا كما تقول ما أنا معسر بحمد الله تعالى وإغنائه، والمراد الرد على قائل ذلك، وإبطال مقالتهم فيه عليه الصلاة والسلام وإلا فلا امتنان عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بانتفاء ما ذكر مع انتفائه عن أكثر الناس، وقيل: الامتنان بانتفاء ذلك بسبب النعمة المراد بها ما أوتيه صلى الله تعالى عليه وسلم من صدق النبوة ورجاحة العقل التي لم يؤتَها أحد قبله، والقائلون بذلك هم الكفرة قاتلهم الله تعالى أنى يؤفكون، وممن قال كاهن: شيبة بن ربيعة، وممن قال مجنون: عقبة بن أبي معيط ﴿**أَمْ يَقُولُونَ** ﴾ أي بل أيقولون ﴿**شَاعِرٌ** ﴾ أي هو شاعر ﴿**نَّتَرَبَّصُ** ﴾ أي ننتظر ﴿**به رَيْبَ ٱلْمَنُون** ﴾ أي الدهر، وهو فعول من المنّ بمعنى القطع لأنه يقطع الأعمار وغيرها، ومنه حبل منين أي مقطوع، والريب مصدر رابه إذا أقلقه أريد به حوادث الدهر وصروفه لأنها تقلق النفوس وعبر عنها بالمصدر مبالغة، وجوز أن يكون من راب عليه الدهر أي نزل، والمراد بنزوله إهلاكه، وتفسير المنون بالدهر مروي عن مجاهد وعليه قول الشاعر:

تـربـص بـهـا ريـب الـمـنـون لـعـلـهـا ... تـطـلـق يـومـاً أو يـمـوت حـلـيـلـهـا

وبيت أبي ذؤيب

أمـن الـمـنـون وريـبـه يـتـوجـع ... والـدهـر لـيـس بـمـعـتـب مـن يـجـزع

قيل: ظاهره ذلك، وكذلك قول الأعشى:

أإن رأت رجـلاً أعـشـى أضـرّ بـه ... ريـب الـمـنـون ودهـر مـتـبـل خـبـل

ولهذا أنشده الجوهري شاهداً له، وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس تفسيره بالموت وهو مشترك بين المعنيين فقد قال المرزوقي في شرح بيت أبي ذؤيب المار آنفاً: المنون قد يراد به الدهر فيذكر وتكون الرواية ريبه، وقد يراد به المنية فيؤنث، وقد روي ريبها، وقد يرجع له ضمير الجمع لقصد أنواع المنايا وريبها نزولها انتهى فلا تغفل، وهو أيضاً من المنّ بمعنى القطع فإنها قاطعة الأماني واللذات، ولذا قيل: المنية تقطع الأمنية، وريب المنون عليه نزول المنية، وجوز أن يكون معنى حادث الموت على أن الإضافة بيانية، روي أن قريشاً اجتمعت في دار الندوة وكثرت آراؤهم فيه عليه الصلاة والسلام حتى قال قائل منهم وهم بنو عبد الدار ـ كما قال الضحاك ـ تربصوا به ريب المنون فإنه شاعر سيهلك ما هلك زهير والنابغة والاعشى فافترقوا على هذه المقالة فنزلت، وقرأ زيد بن علي «يُتَرَبَّصُ» بالياء مبنياً للمفعول، وقرىء «رَيْبُ» بالرفع على النيابة.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ تهكم بهم، وتهديد لهم ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي، وفيه عدة كريمة بإهلاكهم ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم﴾ أي عقولهم وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى ـ وذلك على ما قال الجاحظ ـ لأن جميع العالم يأتونهم ويخالطونهم وبذلك يكمل العقل وهو يكمل بالمسافرة وزيادة رؤية البلاد المختلفة والأماكن المتباينة ومصاحبة ذوي الأخلاق المتفاوتة وقد حصل لهم الغرض بدون مشقة، وقيل لعمرو بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالعقل؟! فقال: تلك عقول كادها الله عز وجل أي لم يصحبها التوفيق فلذا لم يؤمنوا وكفروا ـ وأنا لا أرى في الآية دلالة على رجحان عقولهم ـ ولعلها تدل على ضد ذلك ﴿بِهَٰذَا﴾ التناقص في المقال فإن الكاهن والشاعر يكونان ذا عقل تام وفطنة وقادة والمجنون مغطى عقله مختل فكره وهذا يعرب عن أن القوم لتحيرهم وعصبيتهم وقعوا في حيص بيص حتى اضطربت عقولهم وتناقضت أقوالهم وكذبوا أنفسهم من حيث لا يشعرون، وأمر الاحلام بذلك مجاز عن التأدية إليه بعلاقة السببية كما قيل، وقيل: جعلت الأحلام آمرة على الاستعارة المكنية فتشبه الاحلام بسلطان مطاع تشبيهاً مضمراً في النفس، وتثبت له الأمر على طريق التخييل ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الأكاذيب المحصنة الخارجة عن دائرة العقول، وقرأ مجاهد «بل هم» ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أي اختلقه من تلقاء نفسه.

وقال ابن عطية: معناه قال عن الغير إنه قاله فهو عبارة عن كذب مخصوص، وضمير المفعول للقرآن ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الأباطيل كيف لا وما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ مماثل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ فيما زعموا فإن صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار، وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر، والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام؛ ولا ريب في أن القدرة

على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر بذلك، فالكلام ردّ للأقوال المذكورة في حقه عليه الصلاة والسلام، والقرآن بالتحدي فإذا تحدوا وعجزوا علم رد ما قالوه وصحة المدّعى، وجوز أن يكون ردّاً لزعمهم التقول خاصة فإن غيره مما تقدم حتى الكهانة كما لا يخفى أظهر فساداً منه ومع ذلك إذا ظهر فساد زعم التقول ظهر فساد غيره بطريق اللزوم، وقرأ الجحدري، وأبو السمال بحديث مثله على الاضافة أي بحديث رجل مثل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في كونه أمياً لم يصحب أهل العلم ولا رحل عن بلده، أو مثله في كونه واحداً منهم فلا يعوز أن يكون في العرب مثله في الفصاحة فليأت بمثل ما أتى به ولن يقدر على ذلك أبداً ﴿أَمْ خُلقوا من غَيْر شَيْء﴾ أي أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير مقدر وخالق، وقال الطبري: المراد أم خلقوا من غير شيء حي فهم لا يؤمرون ولا ينهون كالجمادات، وقيل: المعنى أم خلقوا من غير علة ولا لغاية ثواب وعقاب فهم لذلك لا يسمعون، و ﴿من﴾ عليه للسببية، وعلى ما تقدم لابتداء الغاية والمعول عليه من الأقوال ما قدمنا، وسيأتي إن شاء الله تعالى زيادة إيضاح له، ويؤيده قوله سبحانه: ﴿أَمْ هُمُ ٱلخالِقُونَ﴾ أي الذين خلقوا أنفسهم فلذلك لا يعبدون الله عز وجل ولا يلتفتون إلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ على القولين لا يظهر حسن المقابلة، وإرادة خلقوا أنفسهم يشعر به قوله تعالى: ﴿أم خلقوا السماوات والأرض﴾ [الطور: ٣٦] إذ لو أريد العموم لعدم ذكر المفعول لم يظهر حسن المقابلة أيضاً، وقال ابن عطية: المراد أهم الذين خلقوا الأشياء فهم لذلك يتكبرون ثم خص من تلك الأشياء السماوات والأرض لعظمهما وشرفهما في المخلوقات وفيه ما سمعته ﴿بَل لا يُوقنونَ﴾ أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السماوات والأرض؟ قالوا: الله وهم غير موقنين بما قالوا إذ لو كانوا موقنين لما أعرضوا عن عبادته تعالى فإن من عرف خالقه وأيقن به امتثل وانقاد له ﴿أَمْ عندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ أي خزائن رزقه تعالى ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا، ويمسكوها عمن شاؤوا، وقال الرماني: خزائنه تعالى مقدوراته سبحانه، وقال ابن عطية: المعنى أم عندهم الاستغناء عن الله تعالى في جميع الامور لأن المال والصحة والعزة وغير ذلك من الاشياء من خزائن الله تعالى، وقال الزهري: يريد بالخزائن العلم واستحسنه أبو حيان، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يعلم حاله منه ﴿أَمْ هُمُ ٱلمُصَيْطِرُونَ﴾ الأرباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على إرادتهم ومشيئتهم فالمسيطر الغالب، وفي معناه قول ابن عباس: المسلط القاهر وهو من سيطر على كذا إذا راقبه وأقام عليه وليس مصغراً كما يتوهم ولم يأت على هذه الزنة إلا خمسة ألفاظ أربعة من الصفات، وهي مهيمن ومسيطر ومبيقر ومبيطر، وواحد من الاسماء وهو مجيمر اسم جبل، وقرأ الأكثر ﴿المصيطرون﴾ بالصاد لمكان حرف الاستعلاء وهو الطاء، وأشم خلف عن حمزة وخلاد عنه بخلاف الزاي ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ هو ما يتوصل به إلى الأمكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسماً لكل ما يتوصل به إلى شيء رفيع كالسبب أي أم لهم سلم منصوب إلى السماء ﴿يَسْتَمعُونَ فيه﴾ أي صاعدين فيه على أن الجار والمجرور متعلق بكون خاص محذوف وقع حالاً والظرفية على حقيقتها، وقيل: هو متعلق ـ بيستمعون ـ على تضمينه معنى الصعود.

وقال أبو حيان: أي يستمعون عليه أو منه إذ حروف الجر قد يسدّ بعضها مسدّ بعض ومفعول ﴿يستمعون﴾ محذوف أي كلام الله تعالى، قيل: ولو نزل منزلة اللازم جاز ﴿فَلْيَأت مُسْتَمعُهُم بسُلْطان مُبين﴾ أي بحجة واضحة تصدق استماعه ﴿أَم لَهُ البَناتُ وَلَكُمُ البَنُونَ﴾ تسفيه لهم وتركيك لعقولهم، وفيه إيذان بأن من هذا رأيه لا يكاد يعدّ من العقلاء فضلاً عن الترقي إلى عالم الملكوت وسماع كلام ذي العزة والجبروت والالتفات إلى الخطاب لتشديد الإنكار والتوبيخ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً﴾ أي على تبليغ الرسالة وهو رجوع إلى خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم وإعراض عنهم ﴿فَهُم﴾ لأجل ذلك ﴿مِّن مَّغْرَم﴾ مصدر ميمي

من الغرم والغرامة وهو ـ كما قال الراغب ـ ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه، فالكلام بتقدير مضاف أي من التزام مغرم، وفسره الزمخشري بالتزام الإنسان ما ليس عليه فلا حاجة إلى تقدير ـ لكن الذي تقتضيه اللغة هو الأول ـ ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ أي محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ويخبرون به الناس ـ قاله ابن عباس ـ وقال ابن عطية: أم عندهم علم الغيب فهم يثبتون ما يزعمون للناس شرعاً، وذلك عبادة الأوثان وتسييب السوائب وغير ذلك من سيرهم، وقال قتادة: ﴿أم عندهم الغيب﴾ فهم يعلمون متى يموت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذي يتربصون به، وفسر بعضهم ﴿يكتبون﴾ بيحكمون ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيداً﴾ بك وبشرعك وهو ما كان منهم في حقه ﷺ بدار الندوة مما هو معلوم من السير، وهذا من الإخبار بالغيب فإن قصة دار الندوة وقعت في وقت الهجرة وكان نزول السورة قبلها كما تدل عليه الآثار ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم المذكورون المريدون كيده عليه الصلاة والسلام، ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به، وجوز أن يراد جميع الكفرة وهم داخلون فيه دخولاً أولياً ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ أي الذين يحيق بهم كيدهم ويعود عليهم وباله لا من أرادوا أن يكيدوه وكان وباله في حق أولئك قتلهم يوم بدر في السنة الخامسة عشر من النبوة قيل: ولذا وقعت كلمة ﴿أم﴾ مكررة هنا خمس عشرة مرة للإشارة لما ذكر، ومثله على ما قال الشهاب: لا يستبعد من المعجزات القرآنية وإن كان الانتقال لمثله خفي ومناسبته أخفى، وجوز أن يكون المعنى هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ الله﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه عز وجل.

﴿سُبْحانَ ٱلله عَمَّا يُشرِكُونَ﴾ أي عن إشراكهم على أن ما مصدرية، أو عن شركة الذي يشركونه على أنها موصولة وقبلها مضاف مقدر والعائد محذوف ﴿وَإِن يَرَوا كِسْفاً﴾ قطعة فهو مفرد وقد قرىء في جميع القرآن كسفاً وكسفاً جمعاً وإفراداً إلا هنا فإنه على الإفراد وحده، وتنوينه للتفخيم أي وإن يروا كسفاً عظيماً ﴿مِّنَ ٱلسَّماء سَاقِطاً﴾ لتعذيبهم ﴿يقولوا﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿سَحَابٌ﴾ أي هو سحاب ﴿مَّرْكُومٌ﴾ متراكم ملقى بعضه على بعض أي هم في الطغيان بحيث لو أسقطنا عليهم حسبما قالوا، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً لقالوا هو سحاب متراكم يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط لعذابهم ﴿فَذَرْهُمْ﴾ فدعهم غير مكترث بهم وهو على ما في البحر أمر موادعة منسوخ بآية السيف ﴿حَتَّىٰ يُلاقُوا﴾ وقرأ أبو حيوة يلقوا مضارع لقى ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فيه يُصْعَقُونَ﴾ على البناء للمفعول وهي قراءة عاصم وابن عامر وزيد بن علي وأهل مكة في قول شبل بن عباد: من صعقته الصاعقة، أو من أصعقته، وقرأ الجمهور وأهل مكة في قول إسماعيل: يصعقون بفتح الياء والعين، والسلمي بضم الياء وكسر العين من أصعق رباعياً والمراد بذلك اليوم يوم بدر، وقيل: وقت النفخة الأولى فإنه يصعق فيه من في السماوات ومن في الأرض، وتعقب بأنه لا يصعق فيه إلا من كان حياً حينئذ وهؤلاء ليسوا كذلك وبأن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُغْني عَنْهُم كَيدُهُم شيئاً﴾ أي شيئاً من الإغناء بدل من يومهم، ولا يخفى أن التعرّض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعاً بالانتفاع به وليس ذلك إلا ما دبروه في أمره صلى الله تعالى عليه وسلم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر، وأما النفخة الأولى فليست مما يجرى في مدافعته الكيد والحيل، وأجيب عن الأول بمنع اختصاص الصعق بالحي فالموتى أيضاً يصعقون وهم داخلون في عموم «من» وإن لم يكن صعقهم مثل صعق الأحياء من كل وجه وهو خلاف الظاهر فيحتاج إلى نقل صحيح، عن الثاني بأن الكلام على نهج قوله:

على لاحب لا يهتدى بمناره

فالمعنى يوم لا يكون لهم كيد ولا إغناء وهو كثير في القرآن وباب من أبواب البلاغة والإحسان، وقيل: هو يوم القيامة ـ وعليه الجمهور ـ وفيه بحث، وقيل: هو يوم موتهم، وتعقب بأن فيه ما فيه مع أنه تأباه الإضافة المنبئة عن اختصاصه بهم فلا تغفل ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ من جهة الغير في دفع العذاب عنهم ﴿وَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر قبل وجوز العموم وهم داخلون دخولاً أولياً ﴿عَذَاباً﴾ آخر ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ دون ما لاقوه من القتل أي قبله وهو ـ كما قال مجاهد ـ القحط الذي أصابهم سبع سنين.

وعن ابن عباس هو ما كان عليهم يوم بدر والفتح، وفسر ﴿بدون ذلك﴾ بقبل يوم القيامة بناءً على كون يومهم الذي فيه يصعقون ذلك، وعنه أيضاً. وعن البراء بن عازب أنه عذاب القبر وهو مبني على نحو ذلك التفسير، وذهب إليه بعضهم بناءً على أن ﴿دون ذلك﴾ بمعنى وراء ذلك كما في قوله:

يريك القذى من دونها وهو دونها

وإذا فسر اليوم بيوم القيامة ونحوه، و ﴿دون ذلك﴾ بقبله، وأريد العموم من الموصول فهذا العذاب عذاب القبر، أو المصائب الدنيوية، وفي مصحف عبد الله ـ دون ذلك تقريباً ـ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إن الأمر كما ذكر، وفيه إشارة إلى أن فيهم من يعلم ذلك وإنما يصر على الكفر عناداً، أو لا يعملون شيئاً.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان ومعاناة الهموم ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي في حفظنا وحراستنا، فالعين مجاز عن الحفظ، ويتجوز بها أيضاً عن الحافظ وهو مجاز مشهور، وفي الكشاف هو مثل أي بحيث نراك ونكلؤك، وجمع العين هنا لإضافته إلى ضمير الجمع ووحد في «طه» لإضافته إلى ضمير الواحد، ولوح الزمخشري ـ في سورة المؤمنين ـ إلى أن فائدة الجمع الدلالة على المبالغة في الحفظ كأن معه من الله تعالى حفاظاً يكلؤونه بأعينهم، وقال العلامة الطيبي: إنه أفرد هنالك لإفراد الفعل وهو كلاءة موسى عليه السلام، وها هنا لما كان لتصبير الحبيب على المكايد ومشاق التكاليف والطاعات ناسب الجمع لأنها أفعال كثيرة كل منها يحتاج إلى حراسة منه عز وجل انتهى، ومن نظر بعين بصيرته علم من الآيتين الفرق بين الحبيب والكليم عليهما أفضل الصلاة وأكمل التسليم، ثم إن الكلام في نظير هذا على مذهب السلف مشهور، وقرأ أبو السمال «بِأَعْيُنَّا» بنون مشددة ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي قل سبحان الله ملتبساً بحمده تعالى على نعمائه الفائتة الحصر، والمراد سبحه تعالى واحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من كل مجلس قاله عطاء ومجاهد وابن جبير، وقد صح من رواية أبي داود والنسائي وغيرهما عن أبي برزة الأسلمي «أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول إذا أراد أن يقوم من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك فسئل عن ذلك فقال: كفارة لما يكون في المجلس» والآثار في ذلك كثيرة، وقيل: حين تقوم إلى الصلاة، أخرج أبو عبيد وابن المنذر عن سعيد بن المسيب قال: «حق على كل مسلم حين يقوم إلى الصلاة أن يقول: سبحان الله وبحمده لأن الله تعالى يقول لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾» وأخرج سعيد بن منصور وغيره عن الضحاك أنه قال في الآية: حين تقوم إلى صلاة تقول هؤلاء الكلمات «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» وحكاه في البحر عن ابن عباس؛ وأخرج عنه ابن مردويه أنه قال: «سبح بحمد ربك حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصلاة» وروي نحوه عن ابن السائب، وقال زيد أسلم: «حين تقوم من القائلة والتسبيح إذ ذاك هو صلاة الظهر» وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ إفراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما

يلوح به تقديمه على الفعل ﴿وَإِدْبَارَ ٱلنُّجُومِ﴾ أي وقت إدبارها من آخر الليل أي غيبتها بضوء الصباح، وقيل: التسبيح من الليل صلاة المغرب والعشاء، ﴿وإدبار النجوم﴾ ركعتا الفجر، وعن عمر رضي الله تعالى عنه وعلي كرم الله تعالى وجهه وأبي هريرة والحسن رضي الله تعالى عنهما التسبيح من الليل النوافل: و ﴿إدبار النجوم﴾ ركعتا الفجر، وقرأ سالم بن أبي الجعد والمنهال بن عمرو ويعقوب ـ أدبار ـ بفتح الهمزة جمع دبر بمعنى عقد أي في أعقابها إذا غربت، أو خفيت بشعاع الشمس.

هذا ونظم الآيات من قوله تعالى: ﴿أم يقولون شاعر﴾ [الطور: ٣٠] إلى قوله سبحانه: ﴿أم لهم إله غير الله﴾ الخ فيه غرابة ولم أر أحداً كشف عن لثامه كصاحب الكشف جزاه الله تعالى خيراً، ولغاية حسنه ـ وكونه مما لا مزيد عليه ـ أحببت نقله بحذافيره لكن مع اختصار مّا، فأقول: قال: أومأ الزمخشري إلى وجهين في ذلك في قوله تعالى: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر﴾ [الأنبياء: ٥]: أحدهما أنه حكاية قولهم المضطرب على وجهه، والثاني أنه تدرج منه سبحانه في حكاية ما قالوه من المنكر إلى ما هو أدخل فيه، والأول ضعيف فيما نحن فيه لأن ما سيق له الكلام ليس اضطراب أقوالهم فتحكى على ما هي عليه بل تسليته عليه الصلاة والسلام وأنه لا محالة ينتقم له منهم وأن العذاب المكذب به واقع بهم جزاءً لتكذيبهم بالمنبىء والنبأ والمنبأ به، فالمتعين هو الثاني، ووجهه ـ والله تعالى أعلم ـ أن قوله: ﴿فذكر﴾ معناه إذ ثبت كون العذاب واقعاً وكون الفريقين المصدقين والمكذبين مجزيين بأعمالهم، وإنك على الحق المبين الذي من كذب به استحق الهوان، ومن صدق استحق الرضوان فدم على التذكير ولا تبال بما تكايد فإنك أنت الغالب حجة وسيفاً في هذه الدار، ومنزلة ورفعة في دار القرار، ومن قوله تعالى: ﴿فما أنت﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿هم المكيدون﴾ تفصيل هذا المجمل مع التعريض بفساد مقالاتهم الحمقاء وأنهم بمرأى من الله تعالى ومسمع فلا محالة ينتقم لنبيه عليه الصلاة والسلام منهم، وفيه أن النبي ﷺ من الله تعالى بمكان لا يقادَر قدره فهو شدّ من عضد التسلي، وقوله سبحانه: ﴿فما أنت بنعمة ربك﴾ [الطور: ٢٩] الخ فيه أن من أنعم عليه بالنبوة يستحيل أن يكون أحد هذين، وبدأ بقولهم المتناقض لينبه أولاً على فساد آرائهم ويجعله دستوراً في إعراضهم عن الحق وإيثار اتباع أهوائهم فما أبعد حال من كان أتقنهم رأياً وأرجحهم عقلاً وأبينهم آياً منذ ترعرع الى أن بلغ الأشدّ عن الجنون والكهانة على أنهما متناقضان لأن الكهان كانوا عندهم من كامليهم وكان قولهم إماماً متبعاً عندهم فأين الكهانة من الجنون، ثم ترقى مضرباً إلى قولهم فيه وحاشاه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه شاعر لأنه أدخل في الكذب من الكاهن والمجنون وقديماً قيل: أحسن الشعر أكذبه ليبين حال تلجلجهم واضطرابهم، وقوله تعالى: ﴿قال تربصوا﴾ [الطور: ٣١] من باب المجازاة بمثل صنيعهم وفيه تتميم للوعيد، فهذا باب من إنكارهم هدمه سبحانه أولاً تلويحاً بقوله تعالى: ﴿بنعمة ربك﴾ وثانياً تصريحاً بقوله جل وعلا. ﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ [الطور: ٣٢] كأنه قيل دعهم وتلك المقالة وما فيها من الاضطراب ففيها عبرة، ثم قيل: لا بل ذلك من طغيانهم لأنه أدخل في الذم من نقصان العقل وأبلغ في التسلية لأن من طغى على الله عز وجل فقد باء بغضبه، ثم أخذ في باب أوغل في الإنكار وهو نسبة الافتراء إليه صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لأن الافتراء أبعد شيء من حاله لاشتهاره بالصدق على أن كونه افتراءً وعجزهم عن الأتيان بأقصر سورة من هذا المفتري متنافيان لدلالته على الصدق على ما مر ـ في الأحقاف ـ ولأن الشاعر لا يتعمد الكذب لذاته، ثم قد يكون شعره حكماً ومواعظ وهو لا ينسب فيه إلى عار، والتدرج عن الشعر ها هنا عكس التدرج اليه في الأنبياء لأن بناء الكلام ها هنا على التدرج في المناقضة والتوغل في القدح فيه عليه الصلاة والسلام ونفي رسالته، وهنالك عن القدح في بعض من الذكر متجدد النزول فقيل: إن افتراءه لا

يبعد ممن هو شاعر ذو افتراءات كثيرة، وأين هذا من ذاك؟ وللتنبيه على التوغل جيء بصريح حرف الاضراب في الردّ فقيل: ﴿بل لا يؤمنون﴾ [الطور: ٣٣] وعقب بقوله تعالى: ﴿فليأتوا﴾ [الطور: ٣٤] ثم من لا يؤمن أشد إنكاراً له من الطاغي كما أن المفتري أدخلُ في الكذب من الشاعر، ثم أخذ في أسلوب أبلغ في الرد على مقالاتهم الجنون والكهانة لتقاربهما، ثم الشعر، ثم الافتراء حيث نزل القائلين منزلة من يدعي أنه خلق من غير شيء أي مقدر وخالق وإلا لأهمهم البحث عن صفاته وأفعاله فلم ينكروا منك ما أنكروا، ومن حسب أنه مستغن عن الموجد نسب رسوله إلى الجنون والكهانة لا بل كمن يدعي أنه خالق نفسه فلا خالق له ليبحث عن صفاته فهو ينسبه إلى الشعر إذ لا يرسل إليه البتة، والشعر أدخل في الكذب لا بل كمن يدعي أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما فهو ينسبه الى الافتراء حيث لم يرسله، ثم أضرب صريحاً عنه بقوله تعالى: ﴿بل لا يوقنون﴾ [الطور: ٣٦] ومن لا إيقان له بمثل هذا البديهي لا يبعد أن يزنك بمازن، فكأنه قيل: مقالتهم تلك تؤدي إلى هذه لا أنهم كانوا قائلين بها إظهاراً لتماديهم في العناد، ثم بولغ فيه فجيء بما يدل على أن الرسول لا بد أن يكون مفترياً غير صالح للنبوة في زعمهم، فالأول لما لم يمنع تعدد الآلهة إنما يدل على افترائه من حيث إن أحد الخالقين لا يدعو الآخر إلى عبادته، والثاني يمنعه بالكلية لأنه إذا كان عندهم جميع خزائن ربه وهم ما أرسلوه لزم أن يكون مفتريا ألبتة، وأدمج فيه إنكارهم للمعاد، ونسبتهم إياه صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك أيضاً خاصة إلى الافتراء، والحمل على خزائن القدرة أظهر لأن ﴿أم عندهم الغيب﴾ [الطور: ٤١] إشارة إلى خزائن العلم ولما كان المقصود هنالك أمر البعث على ما سيحقق إن شاء الله تعالى كان هذا القول أيضاً من القبول بمكان ولا يخفى ما في قوله تعالى: ﴿أم هو المسيطرون﴾ [الطور: ٣٧] من الترقي ثم لما فرغ من ذلك وبيَّن فساد ما بنوا عليه أمر الإنكار بدليل العقل قيل: لم يبق إلا المشاهدة والسماع منه تعالى وهو أظهر استحالة فتهكم بهم، وقيل: ﴿بل لهم سلم يستمعون﴾ [الطور: ٣٨] وذيل بقوله تعالى: ﴿أو له البنات﴾ [الطور: ٣٩] إشعاراً بأنه من جعل خالقه أدون حالاً منه لم يستبعد منه تلك المقالات الخرقاء كأنه سلى صلى الله تعالى عليه وسلم؛ وقيل: ناهيك بتساوي الطعنين في البطلان وبما يلقون من سوء مغبتهما، ثم قيل: ﴿أن تسألهم أجراً﴾ [الطور: ٤٠] أي إن القوم أرباب ألبابٍ وليسوا من تلك الأوصاف في شيء بل الذي زهدهم فيك أنك تسألهم أجراً مالاً، أو جاهاً، أو ذكراً، وفيه تهكم بهم وذم لهم بالحسد واللؤم وأنهم مع قصور نظرهم عن أمر الميعاد لا ينون الأمر على المتعارف المعتاد إذ لا أحد من أهل الدنيا وذوي الأخطار يجبه الناصح المبرأ ساحته عن لوث الطمع بتلك المقالات على أنه حسد لا موقع له عند ذويه فليسوا في أن يحصل لهم نعمة النبوة ولا هو ممن يطمع في نعمهم إحدى الثلاث، ثم قيل ﴿أم عندهم الغيب﴾ على معنى بل أعندهم اللوح فيعلمون كل ما هو كائن ويكتبون فيه تلك المعلومات وقد علموا أن ما تدعيه من المعاد ليس من الكائن المكتوب، والمقصود من هذا نفي المنبأ به أعني البعث على وجه يتضمن دفع النبوة أيضاً إدماجاً عكس الأول ولهذا أخره عن قوله تعالى: ﴿أم لهم سلم﴾ فقد سلف أن مصب الغرض حديث النبأ والمنبأ والمنبأ به فقضى الوطر من الأولين مع الرمز الى الأخير: ثم أخذ فيه مع الرمز إليهما قضاء لحق الإعجاز، ففي الغيب إشارة إلى الغيب أعني الساعة أول كل شيء وفيه ترق في الدفع من وجه أيضاً لأن العلم أشمل مورداً من القدرة ولأن الأول إنكار من حيث إنهم لم يرسلوه، وهذا من تلك الحيثية، ومن حيث إنهم ما علموا بإرسال غيره إياه أيضاً مع إحاطة علمهم لكنه غير مقصود قصداً أولياً، ثم ختم الكلام بالإضراب عن الإنكار إلى الأخبار عن حالهم بأنهم يريدون بك كيداً فهم ينصبون لك الحبائل قولاً وفعلاً لا يقفون على هذا المقالة وحدها وهم المكيدون لا أنت قولاً وفعلاً وحجة وسيفاً، وحقق ما ضمنه من الوعيد بقوله سبحانه: ﴿**أم لهم إله غير الله**﴾ فينجيهم من كيده وعذابه لا والله سبحان الله عن أن يكون إله غيره، ومنه يظهر أن حمل الذين كفروا على المريدين به كيداً

أظهر في هذا المساق انتهى، وكأن ما بعد تأكيداً لأمر[١] طغيانهم ومزيد تحقيق للوعيد ومبالغة في التسلية، ويعلم مما ذكره ـ لا زالت رحمة الله تعالى عليه متصلة ـ أن ﴿**أم**﴾ في كل ذلك منقطعة وهي مقدرة ببل الإضرابية، والإضراب ها هنا واقع على سبيل الترقي وبالهمزة وهي للإنكار وهو ما اختاره أبو البقاء وكثير من المفسرين، وحكى الثعلبي عن الخليل أنها متصلة والمراد بها الاستفهام، وعليك بما أفاده كلام ذلك الهمام والله تعالى أعلم.

ومما ذكروه من باب الاشارة في بعض الآيات ﴿**والطور**﴾ إشارة إلى قالب الإنسان ﴿**وكتاب مسطور**﴾ إشارة إلى سره ﴿**في رق منشور**﴾ إشارة إلى قلبه ﴿**والبيت المعمور**﴾ إشارة إلى روحه ﴿**والسقف المرفوع**﴾ إشارة إلى صفته ﴿**والبحر المسجور**﴾ إشارة إلى نفسه المسجورة بنيران الشهوة والغضب والكبر، وقيل: ـ الطور ـ إشارة إلى ما طار من الأرواح من عالم القدس والملكوت حتى وقع في شباك عالم الملك ـ والكتاب المسطور في الرق المنشور ـ إشارة إلى النقوش الإلهية المدركة بأبصار البصائر القدسية المكتوبة في صحائف الآفاق ﴿**والبيت المعمور**﴾ إشارة إلى قلب المؤمن المعمور بالمعرفة والإخلاص ﴿**والسقف المرفوع**﴾ إشارة إلى العالم العلوي المرفوع عن أرض الطبيعة ﴿**والبحر المسجور**﴾ إشارة إلى بحر القدرة المملوء من أنواع المقدورات التي لا تتناهى، وقيل: إشارة إلى الفضاء الذي فيه الملائكة المهيمون، ووصفه ـ بالمسجور ـ إما لأنه مملوء منهم، وإما لأنه سجر بنيران الهيام ولذا لا يعلم أحدهم بسوى الله عز وجل، وقيل: غير ذلك ﴿**فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون**﴾ أي يخوضون في غمرات البحر اللجي الدنيوي ويلعبون فيها بزبدها الباطل ومتاعها القليل ويكذبون المستخلصين عن الأكدار المتحلين بالأنوار إذ أنذروهم أن المتقين هم أضداد أولئك ﴿**فاكهين بما آتاهم ربهم**﴾ مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿**ووقاهم ربهم عذاب الجحيم**﴾ وهو عذاب الحجاب ﴿**كلوا**﴾ من ثمرات المعارف المختصة باللطيفة النفسية ﴿**واشربوا**﴾ من مياه العيون المختصة باللطيفة القلبية ﴿**وسبح بحمد ربك حين تقوم**﴾ أي مقام العبودية ﴿**ومن الليل فسبحه**﴾ أي عند نزول السكينة عليك ﴿**وإدبار النجوم**﴾ أي عند ظهور نور شمس الوجه، وتسبيحه سبحانه عند ذلك بالاحتراز عن إثبات وجود غير وجوده تعالى الحق فإن إثبات ذلك شرك مطلق في ذلك المقام أعاذنا الله تعالى وإياكم من الشرك بحرمة الحبيب عليه الصلاة والسلام.

---

(١) هكذا الأصل وصوابه «تأكيد لأمر طغيانهم» برفع تأكيد.